

مقدمة الدراسة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الصادق الأمين ﷺ وبعد، فعلى الرغم من تناول الدين من المؤرخين أو الباحثين لتاريخ الدولة الحفصية، فإن موضوع الوزارة فيها لا يزال شائكاً ومتداخلاً. فلا يوجد من يهتم بالوزراء ودورهم، ولم تنفرد أطروحة بدور الوزراء في مختلف المجالات، لذلك عولت على إعادة النظر والدراسة في هذا الموضوع بالنسبة لتاريخ الدولة الحفصية لما يمثله من خطورة يجب الوقوف على أدواره وأنشطة الوزراء المختلفة من إبراز الدور الإيجابي للدولة الحفصية في المنطقة المحيطة بها وكذلك ظهور نصوص جديدة يمكن الاستفادة منها.

نفصل ما سبق فنقول: إن هذا الموضوع لم يحظ بدراسة مستقلة على الرغم من وجود دراسات طيبة عاجلت العصر الحفصي، وعرضت له في سياق التاريخ الحفصي العام في صفحات قليلة من العديد من المراجع التي تناولت تاريخ الحفصيين، وضمن المقالات والدراسات العامة في تاريخ بلاد المغرب العام، ناهيك عن النظرة الهامشية من قبل المؤرخين لدور الوزراء في الدولة الحفصية وعدم تناول دورهم في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية بالصورة المطلوبة.

وهناك مشكلة أخرى تتعلق بالمادة التاريخية وطبيعتها في أغلبية المصادر تناولت التاريخ السياسي والحضاري والإداري للسلطين الحفصيين، وأهملت دور الوزراء في الأنشطة المختلفة، لذلك كان لازماً على الباحث أن يبحث

وينقب في السطور في كل ما كتب في بلاد المغرب عامة وإفريقية الحفصية خاصة من مخطوطات ومصادر عربية وأجنبية ودوريات من أجل إتمام هذا العمل.

ومن الجدير بالذكر أن الوزارة في الدولة الحفصية انقسمت إلى نوعين، ففي أطوار القوة والازدهار كان السلاطين الحفصيين يتميزون بالقوة والعظمة فاتخذوا الوزراء والحُجَّاب لهم ولم يسمح السلاطين لوزرائهم بأن يتخذوا أية قرارات فردية إلا بعد الرجوع إليهم فكانت الوزارة في هذا الشطر ما هي إلا وزارة تنفيذ وخاصة في الطور الأول وبداية الثالث وعلى العكس من الطور الثاني للدولة وكذلك نهاية الطور الثالث والرابع، حيث ضعفت هبة السلاطين وتولى عرش الدولة الحفصية سلاطين ضعاف، سيطر عليهم وزراء أقوياء، وصار الأمر والنهي والقرار كله بيدهم، وأصبحت الوزارة في أطوار الضعف وزارة تشريع حيث صار السلاطين ألعوبة في أيدي وزرائهم وحجابه.

وقد اكتسب هذا الموضوع أهميته بسبب تعاظم دور الوزراء سواء في عهد السلاطين الأقوياء أو الضعاف في المجالات المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية سواء بالإيجاب أو السلب، وكان لطول فترة حكم الدولة الحفصية سبب من أسباب مرور الدولة بأطوار ضعف سيطر فيها الوزراء على مقاليد الحكم، وتفشي الصراعات والوشايات بين الوزراء وبعضهم البعض من أجل السيطرة على السلطان والحكم مما أثر بالسلب على شتى مناحي الحياة.

وبلغ نفوذ الوزراء مداه في عهد الضعف والانحلال ووهن السلاطين، مما أدى إلى انقسام الدولة الحفصية واتسعت إلى أكثر من إمارة، وكل سلطان يتحكم فيه وزير مستبد مسيطر، حبه للنفوذ والتملك وجمع الأموال أكبر من حبه لقوة الدولة مما أدى إلى انهيار الدولة الحفصية وزوالها من التاريخ على أيدي الأتراك لذلك كان لزاماً علينا محاولة الفصل أو التمييز بين أدوار الوزراء والحجاب من حيث القوة والسيطرة والتحكم في السلاطين، وبين الوزراء الذين انصاعوا إلى أوامر سلاطينهم وساهموا بطريقة إيجابية في بناء الدولة الحفصية في شتى المجالات وإعادة وضع مميزات وسلبيات كل من الوزراء وإظهارها للوجود، فضلاً عن تأطيرها جميعاً في التسلسل الزمني والبعد المكاني.

ولقد اعتمدت في معالجة هذا الموضوع على مناهج مختلفة حسب متطلبات البحث ووفق القواعد السليمة المتبعة من قبل الباحثين والدارسين فتارة نسرده معتمدين على الحدث التاريخي، وتارة نحلل ونستنبط النتائج، وتارة أخرى نقارن ونرصده، وباعتماد ذلك وحده بعد الله عز وجل توصل الباحث إلى نتائج قد تكون مقبولة، وننوه بأن تعويلنا على المنهج السردى الوصفى تعلق فقط بالأحداث المبهمة الأصلية، لذلك كان لزاماً علينا أن نجمع ما تناثر من معلومات بصدها وعرضها من أجل تقديم نسق وصفى واضح ومتكامل.

وقد قُسمَ البحث إلى مقدمة اشتملت على خطة البحث والمنهج الذي اعتمد عليه الباحث في معالجة موضوع الأطروحة، ثم اتبعتها بدراسة لمصادر الرسالة ثم التمهيد لقيام وتطور الدولة الحفصية ومدخل لتطور نظام الوزارة في الدولة الحفصية ثم أربعة فصول تم تقسيمهم على النحو التالي:

الفصل الأول: دور الوزراء في الحياة السياسية:

ويتناول دور الوزراء في الفتن والثورات سواء كانوا هم المشجعين على قيام الثورات أو هم الذين قضوا عليها، وكذلك علاقة الوزراء بالسلطين من حيث القوة والضعف، ومدى قوة الوزراء واستبدادهم إبان فترات ضعف السلطين، وكذلك الوزراء ودورهم في البيعة لورثة العرش وكيف استفاد الوزراء من ضعف السلطين وتحكمهم في أخذ البيعة لمن يعطيهم نفوذ وسيادة، ثم دورهم في الحروب الخارجية مع بني مرين وبني عبد الواد.

الفصل الثاني وعنوانه: دور الوزراء في الحياة الاقتصادية:

ويتناول دور الوزراء في الزراعة والحرف والصناعات والتجارة، وكيف ازدهرت هذه الأنشطة في عهد قوة الدولة، وكيف تدهورت في فترات نفوذ الوزراء والحجاب، ودور الوزراء في السياسة الجبائية، ثم تناولت أهم العوامل المؤثرة على النشاط الاقتصادي.

الفصل الثالث وعنوانه: الوزراء والحياة الاجتماعية:

ويتناول الباحث علاقة الوزراء بالعامّة والمتصوفة، ودور الوزراء في الاحتفالات والحسبة والأحداث، وأهم الآفات الاجتماعية التي أصابت المجتمع الحفصي مثل: شرب الخمر واللواط والزنا والسرقعة وغيرها من الآفات التي أدت إلى انهيار أخلاقيات المجتمع الحفصي إبان فترات ضعف السلطين ونفوذ الوزراء.

الفصل الرابع بعنوان: دور الوزراء في الحياة الثقافية والعمرانية:

ويتناول الباحث دور الوزراء في الحياة التعليمية بإنشاء المدارس،

وعلاقتهم بالعلماء والأدباء، والمساهمة الفعالة في ازدهار الحركة الأدبية في العصر الحفصي، ثم دور الوزراء في الأدب، والمساهمة الفعّالة في الحياة العمرانية في عهد السلاطين الأقوياء، بينما تدهور العمران ومعه التعليم والحياة الأدبية في فترات سيطرة الوزراء.

وأخيرًا الخاتمة والتي تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث عن موضوع الدراسة.

دراسة لأهم مصادر ومراجع البحث

لقد اعتمد الباحث في تغطية مباحث هذه الرسالة مادة تاريخية ثرية متنوعة من خلال المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة إلى جانب كثير من المراجع العربية والأجنبية والدوريات العربية والأجنبية.

أولاً: المخطوطات:

اعتمد الباحث على عدة مصادر مخطوطة كان أهمها على الإطلاق مخطوط المؤلف مجهول عنوانه «ذكر بلاد أفريقيا وحدودها ولم سميت أفريقيا» حيث أفاد الباحث في ذكر أهم المدن الحفصية وحدودها وموقعها وبعض الأنشطة الاقتصادية تخدم موضوع الرسالة. واعتمد الباحث - أيضاً - على مخطوط (الزهر الباسم في حوادث العمر والتراجم) لمؤلفه ابن عبد الباسط خليل بن شاهين المتوفي عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م، ويتميز هذا المخطوط بذكر أحداث الدولة وخاصة في الفترة الأخيرة من الضعف والانحلال في ظل تحبط المصادر الأخرى في تقييم تلك الفترة.

كما استفاد الباحث من مخطوط لمؤلف مجهول تحت عنوان «رسائل متبادلة بين ملوك الأندلس وسلاطين بني مرين»، وهو مخطوط موجود في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية استفاد منه الباحث في دور الوزراء الحفصيين في أفريقية وعلاقاتهم مع سلاطين بني الأحمر وبني مرين، كما استفاد الباحث من عدة مخطوطات أخرى استطاع أن يستفيد منها ضمن بحثه في شتى الفصول منها مخطوط (دراسة السلوك في سياسة الملوك) لأبي حمو موسى المتوفي ٧٩١هـ/١٩٨٠م حيث أمدنا هذا المخطوط بمعلومات عن حروب بني حفص الخارجية مع بني زيان ودور الوزراء فيه.

وكذلك مخطوط (نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان) لمؤلفه محمد أبو عبد الله التنسي (توفي ٨٩٩ هـ / ١٤٩٣ م) حيث يعطينا معلومات عن دور وزراء بني حفص في العلاقات مع بني عبد الواد.

استفاد الباحث من كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب، والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر).

ابن خلدون عبد الرحمن ت / ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م، طبعة دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت ١٩٨٣ م، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التي تناولت تاريخ الدولة الحفصية على الإطلاق حيث شارك ابن خلدون في الأحداث السياسية التي مرت بدولة بني حفص وكذلك شارك في الوزارة وتقلدها حتى وصل إلى أعلى درجات السلم الوظيفي والطبقي، فهذا المصدر يمدنا بمعلومات هامة عن دور الوزراء في الحياة السياسية والاجتماعية والعمرانية والثقافية وخاصة الجزء السادس والسابع وأسهب في الحياة السياسية للدول، ودور الوزراء في الحروب والفتن والثورات، وعلاقة الوزراء بالسلطين وورثة العرش ولكننا لا ننسى بأنه شارك في المؤامرات والدسائس للوصول إلى السلطة بشتى الطرق الشرعية والغير شرعية.

كما استفاد الباحث من كتاب (تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية) الذي يعتبر من أهم الكتب التي تحدثت عن الدولة الحفصية للمؤلف الزركشي واستفاد الباحث في كتابة التاريخ السياسي للوزراء والحجاب، وذكر إشارات عن دور الوزراء والحجاب في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية.

كما استفاد الباحث من كتاب ابن الشماخ ت-٨٦١هـ / ١٤٥٦م بعنوان (الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية)، حيث شغل المؤلف منصباً هاماً داخل الدولة ورصد أهم أعمال السلاطين الحفصيين ووزرائهم وحجابههم ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية، فهو من الكتب المهمة في الكتابة عن الدولة الحفصية، حيث تكلم عن العملة وغيرها من العلاقات التجارية مع البلاد المجاورة.

واستفاد الباحث بالكتاب (الفارسية في مفاخر الدولة الحفصية) لابن القنفذ^(١) حيث أبرز فيه كل مناقب الدولة الحفصية ورصد سلاطينهم وأعمالهم ووزرائهم ودورهم السياسي والاقتصادي وذكر معلومات عن الحياة الاقتصادية والمعاملات التجارية ودور الوزراء في العلاقات التجارية مع الدول المجاورة.

واستفاد الباحث من كتاب المؤلف أحمد بن يحيى الونشريسي (المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب) وتكمن أهميته كونه من النوازل الهامة التي تتناول دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والديني لكثرة ما به من فتاوى، ويعطينا صورة واضحة عن حياة المجتمع الحفصي ودور الوزراء في المجتمع وكذلك يتناول انتشار الغش والفساد والآفات الاجتماعية التي انتشرت في المجتمع الحفصي في فترات الضعف واستبداد الوزراء وكذلك الأحباس والحبسة.

(١) عادل نويض: معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧١، ص ٢٠-٢١.

واستفاد الباحث أيضًا من كتاب (جامع مسائل الأحكام لما نزل بالقضايا والحكم) والمعروف بفتاوى البرزلي لأحمد بن محمد البلوي الشهير بالبرزلي، فهو يعتبر من أهم كتب النوازل التي تعرضت للتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي للدولة الحفصية، حيث اعتمد عليه الباحث في جميع فصول الأطروحة، حيث عالج المؤلف أهم القضايا التي انتشرت في المجتمع الحفصي في جميع المجالات، وأسهب في الحديث عن أهم المشكلات والآفات الاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت في المجتمع الحفصي.

كتاب (المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن) لعبدالله بن مرزوق الخطيب التلمساني ت ٧٨١هـ / ١٣٧٩م، ويحتوي هذا الكتاب على معلومات تاريخية تخدم الفترة التاريخية المضطربة في تاريخ الدولة الحفصية في وقت وصلت فيه الدولة المرينية إلى قمة مجدها السياسي والحربي، ويعطينا معلومات عن حملة السلطان أبي الحسن المريني على الدولة الحفصية بصحبة الوزير الحفصي ابن تافراجين.

كان لكتب الجغرافيا والرحلات فائدة وأهمية عظيمة في إتمام هذه الأطروحة، فكان (كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار) لمؤلف مجهول يرجع إلى عام ٥٨٧هـ / ١١٩١م مفيدًا للباحث في إيضاح الحالة الاقتصادية في المنطقة وخاصة التجارة، وتحدث المؤلف عن طرق ومسالك التجارة الداخلية والخارجية.

الحسن الوزان: ابن محمد الوزان الفاسي المعروف باسم ليون الإفريقي (ت ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م).

- وصف أفريقيا.

- ترجمة من الفرنسية إلى العربية د. عبد الحميد حميدة وراجعه د. على عبد الواحد وافي.

- نشر المملكة العربية السعودية - الرياض ١٩٧٩ م.

يعتبر كتاب (وصف أفريقيا) للحسن الوزان من أهم المصادر التي أفادت الباحث، حيث يتناول المدن المغربية التي تهدمت وتخربت نتيجة للثورات ضد الدولة وقضاء الوزير عليها وما نتج عن ذلك من تدمير وتخریب ونسف للموارد الاقتصادية وذلك يعتبر رحلة الوزان إلى أهم المدن وما الذي طرأ عليها من تغير نتيجة الحروب والثورات التي شارك فيها الوزراء.

ومن هنا كانت رحلة الوزان داخل بلاد المغرب أصدق مرآة لما حدث لتلك المدن من تخریب وتدمير.

ويعتبر كتاب ياقوت الحموي (معجم البلدان) توفي (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) فيعتبر من أهم الكتب الجغرافية التاريخية حيث يجمع مادة تاريخية وجغرافية غزيرة استفاد منها الباحث في وصف مدن إفريقية الحفصية، وتكمن أهميته في خدمة الجانب الاقتصادي حيث ذكر أهم المنتجات الزراعية والصناعية والنشاط التجاري.

واستفاد الباحث من كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لابن فضل الله العمري ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) حيث وفر مادة تاريخية وجغرافية هامة أفادت في إتمام هذا البحث.

واستفاد الباحث من كتاب الكفيف الزرهوني (الملعبة) تحقيق: محمد بن شريفة - المطبعة الملكية - الرباط ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧.

تعتبر (الملعبة) للكفيف الزرهوني من أهم مصادر التاريخ المريني والحفصي وخاصة فترة السلطان ابن الحسن المريني حيث يتناول حملة السلطان أبي الحسن المريني على إفريقية ومدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة الحفصية.

وتكمن أهمية هذا المصدر لأن المؤلف كان معاصراً للأحداث وشارك في الحملة حيث صور لنا رأي بعض الوزراء معارضة قيام الحملة ومنهم الوزير عيسى بن الحسن. ويعطينا الكفيف أسباب للثورات مثل المعارضة على قيام الحملة وكذلك الغلاء وفقدان الماء في أثناء الحروب، ويعتبر هذا المصدر صورة صادقة للأحداث التي سبقت حملة السلطان، وكذلك أحداث الحملة وما ترتب على عليها من ثورات وخاصة ثورة السلطان أبي عنان ضد والده السلطان أبي الحسن وبالتالي فقد ملكه وسلطانه وعرشه.

ولكنه لم يذكر دور الطبقات الأخرى في أثناء الحملة على إفريقية، وترجع أهميته لوصفه لتحركات الحملة من فاس حتى تونس، وخروج الوزير الحفصي ابن تافراجين مع السلطان ابن الحسن المريني، ودوره في السيطرة المرينية على تونس، وما ترتب على ذلك من تمكن المرينين من دخول تونس لمساعدة الوزير ابن تافرجين.

أبو الحسن بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (توفي ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠).

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ

مدينة فاس - دار المنصور للطباعة - الرباط ١٩٧٢.

- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية - دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط - ١٩٧٢.

يعتبر ابن أبي زرع من مؤرخي دولة بني مرين حيث عاصر الأحداث التي أدت إلى قيام ونهوض دولة بني مرين والدولة الحفصية، وتعتبر مؤلفاته مصدرًا لا غنى عنها للدراسة في دولة بني حفص حيث رصد في كتابه (الأنيس المطرب) الثورات وأسبابها من مجاعات وأوبئة وكذلك في كتابه (الذخيرة السنية) حيث ركز على الأحداث السياسية للدولة، وتناول أيضًا سيرة السلاطين وأهم أعمالهم ولم يركز على الطبقات الاجتماعية المختلفة ودورها في الدولة وهذا الكتاب كان ينسب لمؤلف مجهول، ولكن النسخة التي استخدمها الباحث قد نسبت إلى ابن أبي زرع على يدي الأستاذ عبد الله كنون الذي نشر بحثًا في مجلة تطوان قارن فيه بين عبارات كتاب الأنيس المطرب فوجد أن الكلام واحد لذلك نسب الكتاب إلى صاحب الأنيس المطرب هو ابن الأحمر. ويتميز المؤلف بابتعاده عن طريقة الحوليات والتي سار عليها معظم المؤرخين.

وتعتبر رحلة التجاني من الرحلات الهامة التي تخص فترة الدولة الحفصية حيث تجول التجاني في البلاد الحفصية ودون كل مشاهدته من وصف عمراني واجتماعي وسياسي واقتصادي للمدن والقرى التي مر عليها وقدم لها وصفًا دقيقًا واتصل بعلماء وصلحاء هذه المدن التي مر بها، فكان الكتاب نعم المفيد للباحث في بحثه.

واستفاد الباحث من مؤلفات ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب

السلماي الذي توفي سنة ٧٧٦هـ - ١٣٧٤)، حيث تعتبر مؤلفاته لسان الدين بن الخطيب من أهم المصادر التي اعتمد عليها الباحث، لأنه شاهد عيان للأحداث التي حدثت في فترة الدراسة وله عدة مؤلفات كان لابد من الاعتماد عليها، لأنها احتوت بين صفحاتها على مادة تاريخية وفيرة حيث المؤلف نفسه قد شارك في أحداث كثيرة إبان تلك الفترة، ومن هذه المؤلفات (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب) - تحقيق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني دار الكتاب العربي للنشر، الجزء الثاني، حيث تحدث ابن الخطيب عن الأحداث السياسية للدولة الحفصية وعلاقتها بالدولة المرينية وأهم أحداث إفريقية في العهد الحفصي وتناول الكتاب أيضًا آثار الجفاف على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وكذلك الطاعون الأسود وأثره على البلاد في شتى النواحي ولكنه لم يذكر تفاصيل هذا الطاعون وآثاره، وله - أيضًا - كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) أربعة أجزاء، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخارجي، القاهرة، ١٩٨٣، ويعتبر من أهم المصادر لما يحمله من مادة تاريخية تفيد في النواحي السياسية والعلاقات بين بلاد المغرب وبعضها البعض وغرناطة، وكتاب (كناسة الدكان بعد انتقال السكان) تحقيق محمد كمال شبانة مراجعة: د. حسن محمود - وزارة الثقافة - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، حيث يقدم الكتاب معلومات عن الحياة الاجتماعية والسياسية لتلك الفترة.

وله - أيضًا - كتاب (ريحانة الكتاب ونجعة المنتخب ج ١، ٢) فيعتبر من المصادر الهامة؛ حيث يحمل وثائق هامة ومراسلات بين ملوك المغرب وغرناطة عن أهم الأحداث السياسية بين الدولتين وكان تركيزه على

العلاقات السياسية والحوادث التاريخية.

وله كتب أيضًا أخرى مثل (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، حيث سلط الضوء على الأحداث التاريخية السياسية في المنطقة وذكر بعض سلاطين الدولة الحفصية وأهم أعمالهم وعلاقتهم بالدولة المرينية وغرناطة.

واستفاد الباحث من مؤلفات أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر توفي سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) وله مؤلفات عظيمة منها (روضة النسرين في دولة بني مرين) تحقيق عبد الوهاب بن منصور - ط ٢ - الرباط ١٩٩١، وكتاب (النفحة النسرينية واللمحة المرينية) - تحقيق عدنان محمد آل طعمة مطبعة الشام بدمشق، ١٩٩٢.

وكذلك (تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان) - تحقيق: هاني سلامة - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، وكذلك كتاب (نظم فرائض الجمان في نظم فحول الزمان)، تحقيق محمد رضوان الداية دار الثقافة بيروت، ١٩٦٧ وكتاب بيوتات فاس الكبرى، الرباط، ١٩٧٢، وكتاب (مستودع العلامة ومستبدع العلامة). تحقيق محمد تاويت التتطواني، منشورات كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ففي هذه المؤلفات قام بسرد تاريخ السلاطين وأهم الأحداث السياسية في بلاد المغرب ولأهم الوزراء والحجاج ودور الدولة الحفصية في المنطقة فكانت هذه المؤلفات نعم المفيد للباحث.

واستفاد الباحث من كتاب مرمول كربخال، ألّف الكتاب في النصف

الثاني من القرن السادس عشر الميلادي وهو مؤلف من ثلاثة أجزاء وما يفيد الباحث منه جزآه الأول والثاني، ويحمل الكتاب عنوان: (أفريقيا)، وترجع أهمية هذا المصدر بأنه رحلة من أهم الرحلات التي تمت داخل المغرب فرصد طرق التجارة داخل البلاد وذكر أصل بني حفص والقبائل العربية والبربرية وذلك في الجزء الأول، أما الجزء الثاني، فتناول مدن مغربية وأهم أنشطتها الاقتصادية والعمرانية وأثر الحروب في تدمير هذه المدن.

واستفاد الباحث من كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء) للقلقشندي فهو يذخر بمعلومات طيبة وردت خلال الجزء الخامس والسابع والثامن فتحدث فيها عن أصل ونسب بني حفص وتناول أمراء وسلاطين الدولة وصراعهم مع الموحيدين والمرينيين وبني عبد الواد وذكر معلومات هامة عن النظم الاقتصادية والسياسية لدولة بني حفص.

واعتمد الباحث على بعض الوثائق الأجنبية ومنها

De mas Latric: Les Relations de Chiretiens Aves Arabes De L'afrique sepentrionale, Paris. ١٨٦٦.

حيث تناول أهم المعاهدات والعلاقات التجارية بين السلاطين والوزراء الحفصيين وملوك الدول الأوروبية المعاصرة للدولة الحفصية، وتناول كذلك أهم السلع والصناعات المتبادلة بين هذه الدول وبعضها البعض، كما أعطانا صورة لأهم الأحداث السياسية في الدولة الحفصية ودور الوزراء في هذه الأحداث.

واستفاد الباحث - أيضًا - بالوثائق الإيطالية التي نشرها المؤرخ Michele Amari عام ١٨٦٣ وهي مترجمة إلى اللغة العربية، حيث تناول

مراسلات ذات أهمية عظيمة بين السلاطين والوزراء الحفصيين والجمهوريات الإيطالية فأعطتنا معلومات ومادة تاريخية عن التجارة والعلاقات التجارية بين المدن الحفصية وبيزا وجنوا والبندقية وآراجون، وكذلك لأهم المعاهدات التي تمت في هذه الفترة وشارك فيها الوزراء الحفصيين.

واعتمد الباحث على عدد كبير من المراجع العربية منها كتاب (سوسيولوجيا الفكر الإسلامي) للأستاذ الدكتور/ محمود إسماعيل حيث أفاد الباحث للتعرف على الأنشطة المختلفة لدول المغرب عامة والدولة الحفصية خاصة ورصد المؤلف أهم الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أطوار الازدهار وكذلك أطوار الانهيار فكانت نعم المفيد للباحث في هذا البحث.

كما اعتمد الباحث على عدد كبير من المراجع العربية منها كتاب أ.د./ سامية مسعد بعنوان (الحرب والطبيعة) الغني بمعلوماته ومادته التاريخية عن أحوال البلاد في المغرب الأقصى والأدنى والأوسط، فهو كتاب على رغم صغر حجمه لكنه أفاد الباحث في رصد أهم الأوبئة والمجاعات التي ألمت بالدولة الحفصية وبلاد المغرب.

واستفاد الباحث من كتاب برنشفيك (تاريخ إفريقية في العهد الحفصي)، حيث كان هذا الكتاب من أهم الكتب التي تخدم تاريخ الدولة الحفصية على جميع الأصعدة وكان نعم المفيد للباحث في إتمام بحثه.

كما استفاد الباحث من كتاب المطوي بعنوان (السلطنة الحفصية)، حيث ركز المؤلف على التاريخ السياسي للدولة الحفصية، ودور الوزراء السياسي للدولة.

الدوريات والمجلات العلمية:

تذخر الدوريات والمجلات العلمية بالكتابات والمقالات التي أمدت الباحث بالمادة العلمية التي تخدم الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والعمراني خلال فترة البحث ومن هذه الدوريات مجلة دعوة الحق ومجلة البحث العلمي ومجلة كلية الآداب الصادرة عن جامعة الكويت ومجلة المناهل والأصالة وغيرها من الدوريات القيمة.

وكان على الباحث دراسة هذه الكتابات وتقصى الحقائق من بين ثنايا السطور لاستخلاص أدوار الوزراء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية حيث لاقى الباحث صعوبات جمة من أجل رصد هذه الأدوار؛ بسبب تداخلها وقلة المصادر عن الأدوار الاجتماعية للوزراء.

في النهاية فلا بد من الاعتراف بالجميل وتقديم الشكر الجزيل لأستاذتي الجليلة الأستاذة الدكتورة/ **سامية مصطفى مسعد** التي شملتني برعايتها العلمية ووفرت لي كل سبل المعرفة من أجل إتمام هذا البحث فكانت نعم الأستاذ والعالم المرشد الناصح الفاضل، محباً للخير متواضعاً لله عز وجل تحمل في نصائحها همسات الأم الحنون فلم تبخل علي بشيء فكانت كريمة في نصائحها وإرشاداتها وما قدمته لي من كتب قيمة من مكتبتها الخاصة بما تحتويه من كنوز تشعل طريق الباحث نوراً من المادة التاريخية فكانت سنداً للباحث في إتمام هذا البحث، بالإضافة إلى ملاحظاتها وتعليقاتها الدقيقة السديدة على كل فقرة من فقرات هذه الأطروحة وتشجيعها لي في أوقات كثيرة فقدت فيها

أمل البحث والتنقيب بسبب صعوبة ووعورة الدراسة فلولاها لم استطع إنجاز هذه الدراسة على هذا الوجه.... حفظها الله لطلاب العلم وأبقاها حارسًا ونبراسًا للعلم والمعرفة لتكمل حلقة التأليف والتأريخ التي بدأها والدها رحمه الله الأستاذ الدكتور/ مصطفى مسعد العالم العلامة المؤرخ الرحالة صاحب المؤلفات التي تذخر بها المكتبات العامة في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

تمهيد للدراسة

أولاً: أصل كلمة الوزارة واشتقاقها:

ثانياً: تطور نظام الوزارة:

ثالثاً: قيام وتطور الدولة الحفصية:

أصل كلمة الوزارة واشتقاقها:

كان لفظ الوزارة واشتقاقه موضع اختلاف بين اللغويين والكتاب والمؤرخين والمفسرين ف قيل أن الوزارة مأخوذة من الوزر بمعنى الملجأ والمعتصم بفتح الواو والزاي كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾^(١) لأن السلطان أو الخليفة يلجأ إلى رأيه ومعونته وتديره لأن الوزير عليه مدار السياسة واليه تفويض الآمال بفكره الثاقب^(٢). وقيل أنه مأخوذ من الوزر بكسر الواو وسكون الزاي، بمعنى المثقل^(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾^(٤) فأسعد السلاطين هو الذي له وزير صدق. إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه^(٥)، وصدق قول الرسول (ﷺ) فقال: «إذا أراد الله بالأمر خيراً، جعل له وزير صدق إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه»^(٦)

(١) القرآن الكريم: سورة القيامة آية رقم (١١، ١٢).

(٢) الزبيدي (محب الدين أبي الفيض محمد مرتضي): تاج العروس بن جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت ج ٣، ص ٦٠١، محمد حمدي المنياوي: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر ١٩٧٠، ص ١٠.

(٣) اليبضاوي (ناصر الدين عبد الله بن عمر) ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت ١٩٩٨، ج ٤، ص ٢٦.

(٤) القرآن الكريم، سورة، الشرح آية رقم ٢.

(٥) الطرطوشي: (أبي بكر محمد عبد الواحد الفهرى الطرطوشي): سراج الملوك، حققه وضبطه، وعلق عليه محمد محيى أبو بكر. تقديم شوقي ضيف، الدار اللبنانية، بيروت، (د - ت)، م ١، ص ٢٨٨.

(٦) ابن الخطيب: (لسان الدين) الإشارة إلى أدب الوزارة، تحقيق محمد كمال شبانه، مطبعة

حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي. وقيل إن اللفظ مشتق من الأزر وهو الظهر لأن السلطان يقوى بوزيره كقوة البدن بظهره، كقوله تعالى على لسان سيدنا موسى (عليه السلام): ﴿وَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) ﴿^(١)

وقيل إن اللفظ مأخوذ من الوزارة^(٢) وهى المعاونة؛ لأن الوزير عون الملك الذى يحمل ثقله ويعينه برأيه ويحمل عنه أعباء السياسة^(٣)، وأزرت من المؤازرة، فيقال وآزرنى فلان وآزرتة^(٤) أى أعتته وساندته فى أمره

الساحل، المغرب (د-ت)، ص ٤٠-٤١، ابن الصبياني (أبى الحسن الهلال بن الحسن الصبياني)، تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، بيروت، ١٩٠٤م ص ٣٩٥، التقى الهندى (علاء الدين على بن حسام الدين): منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، هامش الجزء الثانى من السند للإمام أحمد بن حنبل نشر المكتب الإسلامى، القاهرة، (د-ت)، ص ١٣٤، محمد حمدى الميناوى، المرجع السابق، ص ١٠.

(١) القرآن الكريم سورة طه الآيات ٢٩-٣٢.

(٢) الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى): قوانين الوزارة، ت فؤاد عبد المنعم أحمد، محمد سليمان داود، مؤسسه شباب الجامعة، ط ٢، الإسكندرية، ١٩٧٨، ص ٦١، جورج وراتب: مختصر تاريخ الحضارة العربية، مطبعة اليقظة العربية، دمشق، ١٩٤٤م، ص ٤٣.

(٣) القلقشندي (أبو العباس أحمد): صبح الاعشى، تقديم فوزى محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٥، مج ٢، ج ٥، ص ٤٤٨.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، ج ٧، ص ١٤١، ابن الصيرفى (أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب): القانون فى ديوان الرسائل والاشارة إلى من نال الوزارة، ت / أيمن فؤاد السيد، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، القاهرة ١٩٩٠م، ص ٨، الزبيرى: المصدر السابق، ج ٣، ص ٦٠١.

وشأنه^(١) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾^(٢)، ويؤكد ذلك حديث الرسول (ﷺ) عن أبي طالب (ﷺ) قال الرسول (ﷺ): «ليس من نبي كان قبلي إلا قد أعطى سبعة نقباء ووزراء نجباء، وإنني أعطيت أربعة عشر وزيرًا نقيًا نجيبًا، سبعة من قريش، وسبعة من المهاجرين»^(٣)، وهذا يدل على أن الوزير كالإكليل بمعنى المؤكل لأنه يحمل عن السلطان أوزاره أى ثقله^(٤)، وهنا نجد أن العلاقة بين السلطان والوزير علاقة وثيقة، ويؤكد ذلك التاريخ، فمنهم من يقول إن السلطان مثل الدار والوزير بابها، فمن أتى الدار من بابها ولج، ومن أتاها من غير بابها انزعج، وقال آخرون: مثل السلطان مثل الطيب ومثل الرعية كمثل المرض، ومثل الوزير كمثل السفير الذى بين المرضى والأطباء، فإن كذب السفير بطل التدبير^(٥)؛ إذا فالوزراء هم الخطط السلطانية والرتب الملكية^(٦).

-
- (١) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: على عبد الواحد وافي: مكتبة الأسرة، مصر، ٢٠٠٦، ج ٢، ص ٦٣٦، ابن الخطيب الإشارة إلى أدب الوزارة، ص ٣٨، مرعى بن يوسف الكرمى الحنبلي، (ت/ ١٠٣٣هـ): المسرة والبشارة في أخبار السلطنة والوزارة، مركز زايد للتراث والتاريخ، ت / محمد عبد القادر فدرسان، الإمارات ٢٠٠٣م / ١٤٢٣هـ، ص ٦٨.
- (٢) القرآن الكريم، سوره الفرقان، آية رقم ٣٥.
- (٣) ابن الخطيب: الاشارة إلى أدب الوزارة، ص ٤٠، رشاش: الوزارة في الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقاق ٢٠٠٤م، ص.
- (٤) القرطبي (محمد بن أحمد الأنصاري) ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٢م: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٩٦، ج ١١، ص ١٩٣.
- (٥) الكرمى الحنبلي: المسرة والبشارة في أخبار السلطنة والوزارة، ص ٧٣.
- (٦) ابن خلدون: المقدمة ج ٢، ص ٦٣٦.

تطور نظام الوزارة:

إن الوزارة ووظيفة الوزير من نظم الحكم القديمة، وقد عرفت في عصورها قبل الإسلام، فعرفها المصريون القدماء واليونان^(١) وبنو إسرائيل^(٢) والساسانيون^(٣) والفرس^(٤) وملوك العرب في اليمن والحيرة والشام قبل الإسلام^(٥)، وعندما جاء الإسلام كان الصحابة يعاونون الرسول (ﷺ) في إدارة شئون الدولة المختلفة^(٦)، وكان يشاورهم ولكنهم لم يتلقبوا بلقب وزير^(٧) على الرغم من أن الدولة المعاصرة للرسول (ﷺ) كانت تسمى أبا بكر وزيراً للرسول (ﷺ)^(٨) وهذا ما جعل خليفة المسلمين أبا بكر الصديق يقول

(١) السيوطي (عبد الرحمن بن بكر جلال الدين السيوطي): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨ م، ج، ٢ ص ١٦٨، مصطفى الرافعي، الإسلام نظام إنساني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د - ت)، ص ١٣٥.

(٢) مصطفى الرافعي، المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٣) آرثر كريستين: إيران في عهد الساسانيين، ت / يحيى الخشاب، مراجعه عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، بيروت (د - ت)، ص ١٠٠.

(٤) الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبوس): الوزراء والكتاب، ت / مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الحلبي، ط ٢، ١٩٨٠ م، ص ١٢٨.

(٥) محمد أحمد برانق: الوزراء العباسيون، منشورات مطبعة لجنة البيان العربية، المطبعة النحوي نصيه، القاهرة ١٩٤٨ م، ص ٤.

(٦) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٦٣٧.

(٧) على محمد عمر: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية بكلية الآداب، جامعه المنيا، ١٩٨٩ م، ص ٢٣.

(٨) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٦٣٧.

بعد وفاة الرسول (ﷺ) للأنصار: "يا معشر الأنصار نحن الأمراء وأنتم الوزراء"^(١). واتبع الخلفاء الراشدون نهج الرسول (ﷺ) في تقريب من يثق به من الصحابة^(٢) لكنهم لم يطلقوا عليه ألقاب الوزراء ولكن كان النظام قائماً بذاته.

(١) عندما توفي الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولم يترك من بعده خليفة اجتمع المسلمون عند سقيفة بنى ساعدة فقال أبو بكر الصديق عند اجتماع المهاجرين والأنصار فقال يا معشر الأنصار نحن الأمراء وأنتم الوزراء وكان هذا الحديث رواه الإمام أحمد عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) انه قال: وان الرسول (ﷺ) قال "قريش ولاء هذا الأمر، فقال له سعد: صدقت ونحن الوزراء وأنتم الأمراء، راجع أحمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ - ٨٥٤ م، المسند، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤ م، ج ١، ص ٨٠، الترمذى (أبو عباس محمد بن عيسى ت / ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م): مختصر سنن الترمذي، شرح وتعليق مصطفى البناء، دار العلوم الانسانية، دمشق (د-ت)، ص ٣١٦، الهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر ٨١٧ هـ ١٤٠٤ م): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، سنة ١٤٠٢ هـ، ج ٥ ص ١٩٢ وعن سقيفة راجع أيضا: المالكي: أبي بكر بن الفري المالكي: العواصم من القاصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول (ﷺ)، فرج أحاديثه وعلق عليه محمود فهمى الاستانبولي، حقق وعلق على = حواشيه محب الدين الخطيب، وثقه وزاد في تحقيقه مركز السنة للبحث العلمي، الناشر مكتبة السنة، ط ٦، القاهرة ١٤١٢ هـ، ص ٦١، المسعودى (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي): التنبيه والإشراف، راجع بمطبعة بريل، بمدينة ليدن ١٨٩٣، ص ١٨٤، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط ٦، القاهرة، ١٩٦١، ط ١ ص ٧٠٦.

(٢) الكرمى الحنبلي: المصدر السابق، ص ٦٧ هامش ١، عبد الهادي محبوبة: نظم الملك كبير الوزراء في الدولة الإسلامية، الدار المصرية الإسلامية، ت / على حسن الخربوطي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٢٥.

ولم يعرف الأمويون نظام الوزارة كلغة اصطلاحية^(١) ولم تكن لها رتبة ولم تتمهد قواعدها إلا في العصر العباسي (١٣٢ هـ / ١٢٥٨ م)^(٢) وكان أول الوزراء في الدولة الإسلامية هو (حفص بن سليمان أبا سلمه الخلال)^(٣) بينما كان أول وزراء بلاد المغرب الإسلامي هو (عمير بن مصعب الأزدي وزير السلطان إدريس الأصغر)^(٤) أما في العصر المرابطي ببلاد المغرب احتل الوزير

(١) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٦٨، أحمد أمين، ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧، ج ١، ص ١٨٣، ويقول ابن خلدون في ذلك، عند تولى بنى أمية انقلبت الخلافة إلى الملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه كان أول شيء وبدئ به في الدولة شأن الباب وسده دون الجمهور فاتخذوا الحجاب ثم استعمل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين في أمور القبائل والعصائب واستخدامهم وأطلق عليه اسم الوزير، ولم يكن بمثابة وزير واختصاصاته المعروفة لأن الحاجة لهم في الخط والكتابة. راجع ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٦٣٧- ٦٣٨، ابن الصاياني: تحفه الأمراء، ص ٣٤٨، ابن الخطيب، الإشارة، ص ٤٩، خواندمير (غيان الدين بن حسام الحسيني): دستور الوزراء، ت / مرسى أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠، ص ١٤٨ - ١٥٠.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٦٣٨- ٦٣٩، الكرمي الخنبلي: المصدر السابق، ص ٦٧ هامش، المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر. ت / محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، بيروت (د-ت) ج ٣ ص ٣٤٨. نجد أن الوزراء قد ارتفع شأنها وظهرت أجهنتها بسبب كفاءة الوزراء المطيعين للسلطين بسبب قوتهم ونكبة البرامكة. راجع الجهشيارى: المصدر السابق، ص ٩٠، ابن طيفور (أبى الفضل بن طيفور): كتاب بغداد، دار الجليل، بيروت، ١٩٨٤، ص ١١٩.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشي، ج ٥، ص ٤٢٢، جوليان: المرجع السابق، ص ٨٤- ٨٥، الجهشيارى، المصدر السابق، ص ٨٤، ابن خلدون، المقدمة ج ٢، ص ٨٩.

(٤) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص ٢٢، هوبكنز، النظم الإسلامية، ص ٣٥.

مكانة عظمى لدى السلطان فكان دائها قريباً منه ويحضر مجلس السلطان^(١) واتسع هذا المنصب في المغرب في عهد الموحيدين حيث اعتمد المهدي على عدد كبير من رجاله وأتباعه الذين كانوا بمثابة وزراء له وعرفوا بالجماعة أو اسم العشرة^(٢).

وفي نهاية الدولة الموحدية سيطر الوزراء على السلاطين وصار الخليفة الموحدى ألعوبة في أيدي وزرائه ولم يكن له أمر ولا نهى في أمور الدولة^(٣) حتى استولى الحفصيون على إفريقية، وبنو مريم على المغرب الأقصى وبنو زيان على المغرب الأوسط بتلمسان^(٤)، وبلغت الوزارة في الدولة المرينية في المغرب الأقصى أعلى درجات المناصب، وكان السلاطين يختارون لمنصب الوزارة من

(١) أحمد مختار العبادي: دراسات، ص ١٥١ - ١٥٥.

(٢) يوسف أشباح: تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمه ووضع حواشيه محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤١، ج ١، ص ٢٤١ - ٢٤٢، العبادي، دراسات، ص ١٥٥ كان اسم الخليفة الموحدى في هذه الفترة يوسف المنتصر بالله ت ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م ووزيره المستبد ابن جامع. راجع ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٤١ - ٢٤٢، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧٢، ص ٤٩، مقديش: نزاهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار، ت على الزوارى، ومحمد محفوظ دار الغرب الإسلامى، ط ١، بيروت، لبنان ١٩٨٨، ج ١، ص ٥٢١، راشد الوليدى (أبو الفضل راشد بن أبي العمرانى الإدريسي) الحلال والحرام مطبعة فضالة المحمدية، المغرب ١٩٩٠، ص ١٠، بروكلمان: تاريخ الشعر بالإسلام، نقله إلى العربية أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط ٧، بيروت ١٩٩٠، ص ٣٣٠.

(٣) أبو الفضل راشد: المصدر السابق، ص ١٠.

(٤) ابن الأحرر (أبو الوليد إسماعيل بن الأحرر): بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧٢، ص ٥٤.

أصحاب السيف أكثر من أصحاب القلم^(١)، وظهر ذلك واضحاً بكثرة تولي وزرائهم قيادة الجيوش في حملاتهم العسكرية ضد الثورات والدول المجاورة من أجل توحيد بلاد المغرب تحت السيطرة المرينية^(٢) ودوله بنى مرين من أعظم دول زناته، فلا أثر لاسم الحاجب عندهم، وأما رئاسة الحرب والعساكر فهي للوزير، ورتبة القلم في الحسبان، والرسائل راجعة إلى من يحسنها من أهلها وإن اختصت ببعض البيوت المصطنعين في دولتهم وقد تُجمع عندهم وقد تفرق^(٣).

وكان وزراء الدولة المرينية حتى وفاة السلطان أبي عنان المريني (٧٥٩ هـ - ١٣٥٧ م) وزراء تنفيذ بسبب قوه السلاطين^(٤) ثم بعد وفاته انتقلت السلطة الفعلية من أيدي السلاطين إلى أيدي الوزراء^(٥) الذين معه وبدأ عهد نفوذ الوزراء^(٦).

(١) الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٨٥، ص ٢٦٤.

(٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٣٨٤، السلاوي (أبي العباس أحمد بن خالد الناصري): الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤، ج ٣، ص ٢٧، رشا سالم، المرجع السابق، ص.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٦٤٢.

(٤) رشا سالم: المرجع السابق، ص، الحريري، المرجع السابق، ص ٢٦٤.

(٥) ابن الأحرر: روضه النسرین في دولة بنى مرین، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٦٢، ص ٢٩، السلاوي، ج ٤، ص ٣٦، عطا على ريه: اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينين والوطاسيين، ط ١، دار الكلمة، سوريا، دمشق ١٩٩٩، ص ٣٨.

(٦) ابن رضوان (أبي القاسم بن رضوان المالقي): الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ت /

وكانت الوزارة في دولة بنى عبد الواد من أسمى وأعلى المراتب في نظام الحكم بعد رتبة السلطان العبد الوادى القوي^(١) الذى كان صاحب القرار الأول والأخير في تعيين الوزير^(٢) وكان وجود الوزير العبد الوادى في منصبه مرهون برضاء السلطان عليه وموقفه منه من الرضا أو الانقلاب عليه^(٣)، ولم يكن شرط رحيل السلطان أن يرحل معه وزيره ويتنحى عن وظيفته حيث نجد أنه عندما تولى السلطان الزياني أبو زيان عثمان السلطة، فقد احتفظ بوزير والده غانم بن محمد الراشدى بن أبى راشد أقارب بنى عبد الواد في منصبه^(٤) وذلك بسبب كفاءته وقربه من الأسرة الحاكمة^(٥).

سامى النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص ٣٢، السلاوي، الاستقصا، ج ٤، ص ٥٢، الحريرى: المرجع السابق، ص ٢٦٤ - ٢٦٥

(١) لسان الدين ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه في الأندلس من شعراء المائة الثامنة، ت / إحسان حقي، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣، ص ٧، التلمساني في ابن مرزوق (محمد بن مرزوق التلمساني): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن، دراسة وتحقيق ماريه خيسوسى بيغيرا، تقديم محمود بوعيداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١، ص ٣٦٠.

(٢) الونشريسي (أحمد بن يحيى): كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، ت: محمد الأمين بلغيث، لافوميك، القاهرة، (د-ت) ص ٢٣، ابن مرزوق، المسند ص ٣٦٠، العبادي: دراسات، ص ١٨٣.

(٣) أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بنى الاحمر، تقديم أحمد مختار العبادى، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٧٧، ص ١٧٩.

(٤) يحيى بن خلدون: بغيه الرواد في ذكر الملوك من بنى عبد الواد تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ج ١، ص ٢٠٨، ٢١٠.

(٥) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة، حيث كانت صلة القرابة من أهم الشروط التى

والوزارة في الدولة الحفصية من المناصب صاحبة السمو والنفوذ داخل النظام السياسي للدولة^(١) وكان الوزير يلقي بشيخ الموحدين أو الشيخ المعظم وذلك لسمو مكائته وارتفاع شأنه، وكان بمثابة وزير الرأي والمشورة عند السلطان^(٢) أو رئيس الوزراء في الدولة^(٣) ويلقب بشيخ أو رئيس الدولة أو صاحب الدولة وله مهام كبيره^(٤) وكان للسلطان الحفصي ثلاثة وزراء هم: وزير الجند وهو بمثابة الحاجب بمصر، ووزير المال وهو المعروف بصاحب الإشغال،

كانت تتوفر في الوزير الزباني ثم الكفاءة لدى بعض السلاطين، والبعض الآخر رأى أن الكفاءة السياسية والإدارية والاقتصادية هي أساس اختيار الوزير، ومنهم من اختار أكثر من وزير حتى لا يستبد أحدهما بالسلطان. راجع: يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٠، ابن الخطيب: الإشارة إلى أدب الوزارة، ص ٨١، ٨٢، الونشريسي: كتاب الولايات، ص ٢٤، مجهول: رسائل متبادلة بين ملوك الأندلس وسلاطين المغرب، مخطوط، معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية ٢٧ / ١١ الإسكوريال، ٦٣ ق، ورقه ٥٣، مبارك الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، تقديم محمد الميلي الشرق الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٦، ص ٨٢٧، أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، دار الكتب البلدية، الجزائر ط ٢، سنة ١٩٦٣، ص ٣٣، العبادي: دراسات، ص ١٩٩.

(١) أحمد مختار العبادي: دراسات، ص ١٨٤.

(٢) العبادي: المرجع السابق، ص ١٨٢ وكان السلطان يختار بنفسه ومن بين أقاربه في أغلب الأحيان أو كثيرًا من يعهد إليه بمهام خطيرة في الدولة الحفصية مثل وزاره الجند أو الحرب أو خطة الحجابة أو هما معا.

(٣) العمري: المسالك، ص ١٣، ١٤.

(٤) ومن مهام الوزير الأكبر أن ينوب عن السلطان عند غيابه عن عاصمته، ويجلس بين يديه في مجالسه مع أشياخ الرأي والشورى، وله النظر في الولايات وقيادة الجيش في الحروب، راجع العبادي، المرجع السابق، ص ١٨٥.

وزير الفضل وهو كاتب السر^(١) وكان وزير الجند أو الحرب هو غالبا شيخ الموحدين فكان بمثابة رئيس الوزراء^(٢) وكان وزير الجند يتقدم موكب السلطان إلى صلاة الجمعة في يقظة شديدة خشية اغتيال السلطان وقتله مثلما حدث للسلطان الغرناطي أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر وهو يسير بين حراسه ووزرائه، وعندما يصل السلطان إلى الجامع يقوم وزير الجند بفتح الباب السلطاني المذهب، ويدخل منه السلطان وحده ويستقبله باقى مشايخ وأعيان دولته^(٣)، أما وزير المال أو الأموال يسمى أيضا بصاحب الإشغال، فهو كما يقول ابن خلدون: "المختص بالحسبان وبالنظر في الدخل والخراج" ويحاسب ويستخلص الأموال، ويعاقب على التفريط^(٤) وكان وزير الإشغال (المال) أجدر من شيوخ الموحدين ثم شغلها بعد ذلك متخصصون في الشؤون المالية، ذو خبرة بها، ومن خارج الحفصيين^(٥) أى من المهاجرين الأندلسيين مثل أبى عثمان سعيد بن الحسين الذى تولى وزارة الأشغال (المالية) فى عهد المستنصر بالله وأوائل عهد ابنه الواثق

(١) العبادي: المرجع السابق، ص ١٨٤ - ١٨٥، برنشفيك: تاريخ إفريقية، ج ٢ ص ٥٣.

(٢) العمرى: مسالك الأبصار، ص ١٣، ١٤، العبادي: دراسات، ص ١٨٥

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق أحمد مختار العبادي محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتب، الدار البيضاء، ١٩٦٤، ق ٣ ص ٢٩٥، صالح محمد فياض: المواكب السلطانية ورسوم الأعلام فى الدولة الحفصية، مجلة الدارة، العدد الأول شوال ١٤٠٦ / يونيو ١٩٨٦، ص ١٧٨ هامش ١٩.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٢٦٩، صالح محمد فياض المواكب السلطانية، ص ١٧٢.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ج ٢، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٥) العبادي: دراسات، ص ١٨٥.

بالله^(١) ثم تولى جد ابن خلدون أبو بكر محمد خلدون في عهد الخليفة أبي إسحاق بن الواثق. ومثل محمد بن يعقوب، وأبي القاسم بن طاهر وغيرهم ممن شغل هذا المنصب في أواخر القرن السابع وأوائل الثامن الهجري وكان وزير المالية (صاحب الأشغال عرضة دائما لمصادرة أمواله وسجنه وتعذيبه أو قتله)، فمثلا السلطان المستنصر قتل وزيره اللياني سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م^(٢) وقتل السلطان الواثق وزيره سعيد بن أبي الحسين سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٨ م وصادر أمواله ثم قتل أبو عمارة الوزير أبا بكر محمد بن خلدون بعد أن استولى على الحكم عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م^(٣).

وتغير مسمى منصب وزير الأشغال (المالية) في عهد السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز (٧٩٦ هـ: ٨٣٧ هـ / ١٣٩٤ م: ١٤٣٣ م) إذ أطلق عليه اسم (المنفذ) أي صاحب الجباية والتنفيذ في الدولة، وكان يختار من بين كبار الموحدون (الحفصيين) ويتمتع بنفوذ كبير في المملكة^(٤) وإن اختلف المسمى ولكن كانت المهام المكلف بها وزير الأشغال واحده، واشتق من خطه وزاره الجباية اسم آخر يسمى وزارة المعمور، وهي خاصة بالجباية عن الأرياف والبدو.^(٥)

(١) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٦٣٦، ص ٦٤٦-٦٤٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٧-٦٧٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٥.

(٤) العبادي: دراسات، ص ١٨٨، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٨، ج ٢، ص ٥٣،

٥٨.

(٥) محمد الهادي العامري: المغرب العربي في سبعة قرون من الازدهار والذبول القرن السابع

الهجري إلى القرن الثالث عشر الميلادي، نشر الشركة التونسية، تونس، (د.ت)، ص ٢٠.

ووزير الفضل أو كاتب السر، هو المختص بديوان الإنشاء أى المكاتبه والأوامر السلطانية، وكذلك كتابه العلامة ثم ترفع هذه المكاتبات إلى السلطان ليضع خاتمه، وكان يشترط في وزير الفضل أن يحسن الإنشاء، ويجيد الترسيل باللغة العربية الفصحى، وأن يكون أميناً على كتمان الأسرار ولهذا سمي بكاتب السر^(١)، أو تسمى مصلحة الرسائل أو أمانة سر الدولة^(٢) أو صاحب العلامة والإنشاء^(٣).

ثم انقسمت هذه الوزارة إلى علامة كبرى وعلامة صغرى، فالوثائق الهامة الصادرة مباشرة عن الخليفة يضع عليها صاحب العلامة الكبرى، والوثائق الأخرى الصادرة اعتباراً من عهد المستنصر باسم وزير الجند يضع عليها العلامة الصغرى كاتب من رتبة أدنى^(٤) وكان تقسيم الوزارة إلى خطة (وزارة) العلامة وخطة (وزارة) الإنشاء وذلك في عهد أبى زكرياء، ولكن عندما أعفى ابن الآبار من منصبه، قام السلطان أبو ذكريا بجمع خطه العلامة والإنشاء لمنافسة وزيره السابق أحمد الغساني^(٥) ولكن بعد وفاة وزير الفضل في عهد السلطان المستنصر، قام بفعل ما سبقه إليه والده من تقسيم وزارة الفضل أى "العلامة" والثانية إلى

(١) العبادى: دراسات ص ١٨٨، برنشفيك، المرجع السابق ج ٢ ص ٦١.

(٢) برنشفيك، المرجع السابق ج ٢ ص ٦١.

(٣) ابن القنفذ (أبى العباس أحمد بن الخطيب القسنطيني): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق الشاذلى النيفر، عبدالمجيد التركى، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨، ص ١١٦، ١٢٣، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٨، ٣٤، برنشفيك: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦١.

(٤) برنشفيك: المرجع السابق: ج ٢: ص ٦١.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٣ - ٦٥٤، برنشفيك: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦١.

"الإنشاء" (١).

وكان وزير الفضل من مهامه الإشراف على مكتبة القصر الملكي والنظر فيما تحتاج إليه من كتب^(٢) بالإضافة إلى إنشاء المكاتبات^(٣) والأوامر السلطانية وخزانة الكتب^(٤) ويشرف على أرباب العلم وسائر الفنون^(٥). وكان يشترط في وزير الفضل أن يحسن الإنشاء ويجيد الترسيل باللغة العربية الفصحى، وأن يؤتمن على كتمان الأسرار، ولهذا سمي أيضا (بكاتب السر)^(٦) ولم يشترط في صاحب هذه الخطة أن يكون قرابتهم أو من الموحدین كعادتهم في أغلب المناصب الرئيسية والولايات؛ لأن الكتابة لم تكن من متحلل القوم بسبب

(١) ابن القنفذ، الفارسية، المقرئ (أحمد بن المقرئ التلمساني): نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٨٨، ج ١، ص ٦٥٣، ٦٨٢ وكانت عملية الفصل والدمج بين العلامتين ليست دائمة / برنشفيك، المرجع السابق، ج ٢، ص ٦١.

(٢) العمري: مسالك الإبصار، ج ٢، ص ٦٢، العبادي: دراسات، ص ١٩٠، برنشفيك، المرجع السابق، ج ٢، ص ٦١.

(٣) العبادي: دراسات، ص ١٩٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٤ - ٦٥.

(٤) الزركشي: تاريخ الدولتين، ص، العبادي: دراسات، ص ١٩١، ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، ص ٣٥٩، ٣٨١. هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في العصور الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس عام ١٩٨٠ ص ٣٥، جواتيان: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق د/ عطية القوصي، الكويت عام ١٩٨٠ ص ٧٩، ٨٣، فتحية النبراوي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار المعارف عام ١٩٧١ ص ٥٨، ٥٩.

(٥) العبادي: دراسات، ص ١٨٨.

(٦) ابن خلدون: المقدمة ج ٢ ص ٦٤١، العبادي: المرجع السابق ص ١٨٨.

رطانة ألسنتهم.^(١)

وجاء بعد ذلك دخول واختلاط الوزارة بالحجابة في الدولة الحفصية حيث تولى الحاجب الوزارة سواء وزارة السيف والحرب حيث حل محل وزير الجند وشيخ الموحدين (رئيس الوزراء)، وأصبح يسمى شيخ الموحدين^(٢) ثم صار أيضا صاحب الرأي والمشاورة^(٣).

وخلاصة القول نجد أن الوزارة في الدولة الحفصية تكونت من أنواع السيف والقلم والمال والعلم وكانت الوزارة بأشكالها المختلفة وزاره تنفيذ في حالة إذا كان السلطان الحفصي قويا مسيطرا على أمور الدولة الحفصية، فأصبحوا وزراء^(٤) تنفيذ ما يأمر به السلطان من تجهيز الجيوش وشئون الجباية

(١) ابن خلدون: المقدمة ج ٢ ص ٦٤١-٦٤٢، برنشفيك: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٤-٦٥، العبادي، المرجع السابق ص ١٨٨. نلاحظ أن الحفصيين لجأوا إلى المثقفين الاندلسيين لكتابه رسائلهم وتولى وزاره القلم، راجع برنشفيك: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٤.

(٢) ابن خلدون، المقدمة ج ٢ ص ٤٢، العبادي: دراسات ص ١٩٤.

(٣) العبادي: دراسات ج ٢ ص ١٩٤، برنشفيك: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٥.

(٤) وزارة التنفيذ: هو تعيين الإمام (السلطين) من ينوب عنه في تنفيذ الأمور دون أن تكون له سلطة استقلالية وليس له أى دور سوى تنفيذ أوامر السلطان دون تعديل أو تغيير. راجع الماوردي: قوانين الوزارة ص ١٣، الأحكام السلطانية ص ٢٥، ٢٦، ابن الصيرفي: القانون في ديوان الرسائل ص ٨، الونشريسي: كتاب الولايات ص ٢٣، أبو يعلى الفراء (أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي) الأحكام السلطانية ت / محمد حامد الفيقي: دار الكتب العلمية، بيروت عام ١٩٨٣، ص ٣٣-٣٥، ابن طباطبا (محمد بن على طباطبا): الفخرى في الآداب السلطانية، مصر، ١٣١٧هـ، ص ١٣٧، ١٣٩، يحيى بن خلدون، بغية الروادج ص ٢٠٤-٢٠٥.

وقيادة الجيوش وكتابة الإنشاء والعمل كسفراء مع الدول المجاورة، دون تناول على شخصية السلطان وهذه الفترة من (٦٢٦هـ: ٦٧٥هـ / ١٢٢٨م: ١٢٧١م) وعندما تولى السلطان أبو العباس أحمد الحكم (٧٧٢هـ / ١٣٧٠م) كان على العكس من سيطرة الوزراء والوزير على السلطان الضعيف. حيث أصبح الوزير وزير تفويض^(١) بسبب ضعف السلاطين والتنافس على السلطة وكثرة الاضطرابات في جميع أنحاء البلاد، والانقسامات الداخلية أدت كلها إلى أن أصبح السلطان الحفصي ألعوبة في أيدي وزرائه وذلك في الفترة من (٦٧٥هـ: ٧٧٢هـ / ١٢٧٧م: ١٣٧٠م) ثم فترة الانحطاط والتدهور في نهاية الحكم الحفصي والتنافس المبرر على السلطة وزيادة نفوذ الوزراء الحجاب (٨٩٢هـ: ٩٨٢هـ / ١٤٨٦م: ١٥٧٤م) حتى ضعفت الدولة والتدخل الأجنبي ثم دخول الأتراك العثمانيين تونس عام ٩٨٠هـ / ١٥٧٤م وينتهي معها الدولة الحفصية وينطوي معها آخر صفحات الوجود الحفصي الفعال في المنطقة.

(١) وزارة التفويض: هو أن يختار الإمام وزيرا يفوض إليه تدبير الأمور برأيه دون الرجوع إلى السلطان. راجع الماوردي: الأحكام السلطانية ص ٢٣، قوانين الوزارة ص ١٠، أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، ص ٣٠، ٣٣، الونشريسي، كتاب الولايات ص ٢٣، محمد ضياء الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية، دار التراث ط ٦، بيروت، ١٩٧٦، ص ٢٦٣، ابن طبطبانا، الفخرى في الآداب السلطانية ص ١٣٧، ١٣٩.

قيام وتطور الدولة الحفصية:

تنسب الدولة الحفصية إلى أحد أصحاب المهدي بن تومرت^(١) العشرة وهو الشيخ أبى حفص عمر^(٢) زعيم قبيلة هنتاته إحدى قبائل المصامدة^(٣) ولكنها كانت أكثرهم عددا، وكانت فيها رئاسة قبائل المصامدة

(١) المهدي ابن تومرت: هو محمد بن عبد الله بن تومرت من أهل السوس من قبيلة هونمة وهم الشرفاء بلسان المصامدة، وله نسب متصل بالحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومنه إلى رسول الله (ﷺ)، والبعض يرجع نسبه إلى قبائل البربر، ومنهم من يقول أنه مختلطا بين البربر والعرب، واستطاع وضع أبى للخلافة الإسلامية عظيمه، وتوفي سنة خمسائة وأربعة وعشرين هجرية راجع: عبد الواحد المراكشي (محيى الدين أبو محمد بن عبد الواحد): المعجب في تلخيص أخبار المغرب - ت/ محمد سعيد العريان، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة أحياء التراث _ القاهرة، سنة ١٩٦٣، ص ٢٤٥-٢٥٣.

- The Encyclopadeia of Islam, Prepared By A number of Leading Orientalists, V.VI. Leiden, ١٩٩١, P. ٦٦.

(٢) أبى حفص عمر: هو فاصله بن وفرال، وسماه المهدي بن قومرت بابى حفص لأنه كان ضمن الجماعة المؤسسة للدولة الموحدية وكان ذو مكانة عظيمه عن الخليفة الموجودى ابن قومرت، وكان يطلق عليها أيضا اسم المبارك ويعرفونه أيضا بعمر ابتنى، ويرفع نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب راجع المراكشي (محيى الدين أبو محمد عبد الواحد): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ٢٦٢، أحمد بن أبى الضيف: أتحاف أهل الزمان بإخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابه الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية سنة ١٩٧٦، ١٣٩٦، ص ١٩٣، الوزير السراج (أبى عبد الله محمد بن محمد الأندلسي): الحلل السندسية في الأخبار التونسية، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ١٢٨٧هـ، ج ١، ق ٤، ص ١٠٢٠.

(٣) هنتاته: بكسر الهاء وفتحها، وسكون النون، وفتح التاء الفوقية بعدها ألف ممدودة ثم تاء مفتوحة بعدها هاء للتأنيث اسم يطلق على جبل من جبال أطلس كما يطلق على القبيلة المقيمة فيه، أو عن قبائل هنتاته ومواطنهم راجع مجهول: عقد الجوهر في نسب البربر

لقوتها ولضخامتها^(١) وبعد وفاة الشيخ أبو حفص عمر. سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م^(٢). كان لأبنائه شأن كبير داخل البلاط الموحدى بوجه عام كان لأبو محمد عبد الواحد المكانة الأسمى والأعلى بوجه خاص لدرجة تجعله كبير شيوخ الموحدين متبعا أثر والده داخل الدولة^(٣) فكان له دور كبير في

مخطوطه بالهيئة المصرية للكتاب، الرمز تيمور، ميكرو فيلم رقم ٢٧٤١٧ ورقه ١٢ ابن خلدون، العبر مج ٦، ص ١١، ص ٤٢٣، ص ٤٦٨ - ٤٦٩، مج ٧، ج ١٢، ص ٥٦٣، ابن الخطيب: نقاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادى، عبدالعزيز الاهوانى، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ج ٢، ص ٤٣ هامش، ج ١٠، ج ٣، ص ١٠٤، عبد الواحد المراكشى وثائق المرابطين والموحدين ت / حسن مؤنس ص ٩٧، القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٣٤، ونهاية الأرب، ص ٤٤٠، ٤٣٩، ابن القاضى (أحمد بن محمد أبى العافية المكناسى): جذوة الاقتباس فيما من حل من الإعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٧٣ ج ١، ص ١٥ حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس، ط ٢، مكتبة مدبولى، ١٩٨٦، ص ٥٨٩، محمد القبلى: الدولة والولاية والمجال فى المغرب الوسيط علائق وتفاعلات، دار توبقال، ط ١، الدار البيضاء، المغرب ١٩٨٧، ص ٢٤.

- (١) مجهول عقد الجوهر: مخطوط، ورقه ١٢ المراكشى، المعجب، ص ٤٢٣، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١، ص ٤٢٣، ابن القنفذ، الفارسية، ص ١٠٢ - ١٠٣.
- (٢) ابن الخطيب (لسان الدين): الإحاطة فى أخبار غرناطة، ت / محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١٩٧٣، ج ٢، ص ٣٢١، ابن الضياف، المصدر السابق، ص ١٩٣.
- (٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٨٢، ابن الضياف، المصدر السابق، ص ١٩٤، محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج ٢، ص ٣٨١ ابن بسام، كتاب التواريخ المعروف بابن بسام فى أخبار ملوك الحضرة المراكشية وما جرى بهم فى الجهاد مع النصارى فى فتوح بلاد الأندلس وأفريقيه وغيرها من المدائن، وقف على كعبه: أمبروسيو هو يثنى والطبقة الأيرقنه، ١٩١٧، ص ٨٧ محمد عبد الله عنان دول الإسلام فى الأندلس عصر المرابطين والموحدين، الهيئة

خدمه الدولة وخاصة في عهد الخليفة الناصر عندما احتدم الصراع بين الموحدين وبقايا المرابطين في إفريقية بقياده بنى غانية^(١) عهد إليه الخليفة الناصر بحمل راية الحرب للقضاء على ثورة بنى غانية التي عملت على زعزعة أركان الدولة الموحدية وغروب نجمها، فخرج إليه الشيخ محمد عبد الواحد على رأس حوالى أربعة آلاف من الموحدين بعد إنلقى جيوش الموحدين هزائم متتالية على يد الثائر^(٢).

والتقى الجيشان سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م عند تاجرا بضواحي قفصة^(٣)

المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١، ص.

- Jamil M. Abun Nasr: A history of the Maghrib, Cambridge, P. ١١٨.

(١) بنو غانية: من قبيلة مسوفة البربرية، وأطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى أهمهم غانية من العائلة المرابطية التي تزوجت من يحيى المسوفى راجع المراكشى: المعجب، ص ٣٩٧، ابن خلدون، العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٠٥-٥٠٧، أحمد بن خالد الناصرى السلاوى الاستقصا فى أخبار المغرب الأقصى، الدار البيضاء ١٩٥٤، ج ٢، ص ١٥٩.

- Villes du Monde: op.cit., P. ٢٢.

(٢) استولى ابن غانية على بجاية فى السادس من شعبان ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، ثم قلعه بنى حماد ثم سدر الحصار على قسنطينة ولكنه فشل فى الاستيلاء عليها ودعا للخليفة أبى العباس أحمد الناصر ٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠-١٢٢٥م واستولوا على المهديّة، طرابلس، وقابس، وصفاقس، وراجع بن خلدون، العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٠٦، ص ٥٠٧-٥٠٩.

(٣) قفصة: مدينة من بلاد الجريد، وهى كبيرة قديمة أزلية وكان اسمها مدينة ألحنيته، وهى متوسطة بين القيروان وقابس، راجع الحميرى (محمد بن عبد المنعم الحميرى)، الروض المعطار فى خير الأقطار، ت إحسان عباس، مكتبته لبنان، ١٩٨٤، ص ٤٧٧-٤٧٩، ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى): معجم البلدان دار إحياء التراث، بيروت، لبنان ١٩٧٩، ج ٤، ص ٣٨٢-٣٨٣.

ودارت بينهم معركة شرسة انتهت بهزيمة بنى غانية هزيمة منكرة، وهرب هو وأتباعه من القبائل العربية إلى الصحراء ببرقة يجر أذيال الهزيمة^(١) بعد أن كبّد الموحدين خسائر كثيرة وهزائم متتالية واستولى على مدنها وكانت خسائرهم في هذه المعركة كثيرة، حيث استرد الناصر مدينة المهدية وأنقذ السيد أبى زيد وولديه مع جماعة من شيوخ الموحدين وأسروا على بن غازى وإلى المهدية من قبل بنى غانية^(٢).

ونتيجة إلى هذه الانتصارات اختار الناصر الشيخ ابن محمد عبد الواحد الحفصى لحكم إفريقية لحبه وإجلاله له وثقته في كفاءته الحربية والإدارية، وذلك عندما عزم الناصر على التحرك إلى المغرب من إفريقية تاركاً سنداً قوياً يحمى ظهره في تلك البلاد البعيدة عن عاصمة ملكه^(٣) ولكن الشيخ أبا محمد

(١) الزركشى (أبى عبد الله محمد إبراهيم) تاريخ الدولتين (الموحدية والحفصية)، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة ط ٢، تونس ١٩٦٦، ص ١٧-١٨، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥١٩، عبدالله العروى: تاريخ المغرب محاوله في التركيب، ترجمه ذوقان قرقوت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، بيروت ١٩٧٧، المرجع السابق ص ١٩٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٨٢، ابن القنفذ (أبى العباس أحمد بن حسين بن على الخطيب القسنطينى): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق الشاذلى النيفر، عبد المجيد تركى، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٨، ص ١٠٤ وفيه يقول لسان = الدين الخطيب: قدمه الناصر فيه أمر ثم علا وصار ملكا قاهرا وكان حازما شديد اليقظة لا يهمل التافة ولا لحظه. راجع شرح رقم الحلل في نظم الدول، أعد للطبع وعلق عليه عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة، سوريا ١٩٩٠ ص ٢٠٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٢٠، المراكشى: المصدر السابق، ص ١٨، لسان الدين ابن الخطيب: شرح رقم الحلل في نظم الدول، ص ٢١٨ المطوى: المرجع السابق، ص ٣١.

عبد الواحد رفض في بادئ الأمر قبول هذا المنصب^(١) ولكن الخليفة الناصر أحاط به وضيق عليه وقال له إما أن تتوجه أنت إلى المغرب وأجلس أنا بإفريقية وإما تبقى أنت وأنصرف أنا^(٢)، فاضطر الشيخ أبو محمد إلى قبول الولاية على إفريقية بشروط وافق عليها الناصر دون أى اعتراض^(٣).

وتعتبر الفترة (٥٦٠٣-٦١٨هـ/١٢٠٧م-١٢٢١م) التى تولى فيها الشيخ أبو محمد حكم تونس، وهى تزيد عن خمسة عشر عامًا بداية تولى أفراد الحفصيين حكم تونس، وأصبحوا هم الوارثين الشرعيين للموحدين فى تونس

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٢٠، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٠٥، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٨، السلاوي، الاستقصا، ج ١، ص ١٩٣، ابن دينار، المصدر السابق، ص ١٣١ الباجى المسعودى، الخلاصة الناقية ص ٥٩، الوزير السراج، الحلل السندسية، ج ١، قسم ٤، ص ١٠٢٢.

- Jamil M. Abun Nasr: op.cit., P. ١١٨.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٨، ويذكر ابن خلدون: أن السلطان الناصر أرسل إليه ابنه الأكبر يوسف فأكبر مجيئه وقبل ذلك، راجع ابن خلدون، العبر، مج ١٢، ص ٥٢٠، ص ٥٨٢.

(٣) وهذه الشروط التى فرضها الشيخ أبو محمد عبد الواحد أن يقيم واليًا على إفريقية ثلاث سنوات فقط يعود بعدها إلى المغرب، له الحرية التامة فى اختيار رجاله من الموحدىن أعوانا له، وألا يراجعه الخليفة الناصر فيما يصدره من أوامر توليه أو عزله أن يمده الخليفة الناصر بكل المساعدات التى يطلبها، راجع: ابن خلدون، العبر، مج ٢، ج ١٢، ص ٥٢٠، ص ٥٨٣، النجاتى (أبى محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجانى): رحلة التيجانى، قدم لها حسن حسنى عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١، ص ٣٦٢، الزركشى، المصدر السابق، ص ١٨.

وإفريقية^(١) تعمل على تنظيم أمور البلاد، وتوجيه الأمن، وإصلاح ما ترتب على الفوضى التي أحدثتها ثورات وحروب بنى غانية والقبائل المساندة لهم، ووضع تقليدا يشابه تقليد الملوك والسلاطين وهو النظر في أمور الرعية كل يوم سبت، وجعل من تونس عاصمة لإفريقية كلها^(٢) حتى توفي يوم الخميس أول محرم ٦١٨هـ/ ١٢٢١م^(٣).

واختلف الموحدون على ابنه أبى يزيد^(٤) ولكن ولايته لم تستمر سوى ثلاثة شهور حيث عزله الخليفة المنتصر وولى بدلا منه السيد (أبا العلاء بن أبى يعقوب بن عبد المؤمن) وطلب من أولاد الشيخ أبى محمد عبد الواحد بالقدوم إلى مراكش^(٥) وقام السيد أبو العلاء بحكم تونس في شهر ذى القعدة

(١) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٠٥، ابن دينار، المصدر السابق، ص ١١٢، السلاوى، الاستقصا، ج ٢، ص ١٩٣.

- Bernard F. Rely: The Medieval Spains, Cambridge, ١٩٩٣, P. ١٦٢.

- L.P. Harvey, Islamic Spain (١٢٥٠-١٥٠٠), Chicago Press, London, P. ١١٦.

(٢) ابن القنفذ: نفسه، ص ١٠٥، عاشور بو شامة: علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (٦٢٦-٩١٨ هـ/ ١٢٢٨-١٥٧٣ م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩١، ص ٤٧.

- Claudio Miralles De Imperial, Relaciones Diplomaticas de mallorca Y Aragon Con El Africa Septentrional Durante La Edad Media, Barcelona, ١٩٠٤, P. ٥٨.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٩، ابن خلدون، العبر، مج ٢، ج ١٢، ص ٥٨٧.

(٤) ابن القنفذ الفارسية، ص ١٠٦، ابن خلدون، العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٨٨، اختلفوا شيوخ الموحدين على من يتولى أمر إفريقية بعد الشيخ أبو محمد عبد الواحد فمنهم من اختار الشيخ أزيد عبد الرحمن أبو محمد ومنهم من رشح ابن أخيه إبراهيم بن إسماعيل بن الشيخ أبى حفص: راجع ابن خلدون، العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٨٨.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٨٨.

١٢٢١/هـ ١٢٢١ م^(١) ومن بعده ابنه أبو زيد المشمر الذى اشتهر بفساده وضعفه وساءت سيرته بين القبائل حتى تولى الخليفة العادل سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤ م، فأقاله من منصبه^(٢) وعين من بعده أبا محمد عبد الله ابن الشيخ أبو حفص المعروف باسم «عبو» فدخل هو يصاحب أخاه أبا زكرياء يحيى وباقي أخواتهم تونس يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٥ م^(٣) وبمجرد وصولهم عين أبا إبراهيم على بلاط قسطنطينية وتوزر ونفطه^(٤) وعين أبا زكرياء يحيى على قابس^(٥) والحامة^(٦) وتفرغ الشيخ ابن محمد عبد الله

(١) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٠٦، تولى الخلافة بعد أن خلع نفسه الخليفة عبد الواحد ابن يوسف بن عبد المؤمن يوم الأحد الثانى والعشرين من شعبان سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤ م، وكان وصوله للخلافة بهذه الطبيعة جعله ألعوبة فى أيدي شيخى هتتانه ويستمل وأصبح يسترضى شيوخ القبائل وأخوته راجع ابن عذارى المراكشى البيان المغرب فى اختبار ملوك المغرب ت/ محمد بن تاويت، محمد إبراهيم الكتانى، ومحمد زنبير، عبد القادر زمامه، دار الغرب الإسلامى بيروت، لبنان ١٩٨٥ ص ٢٧٠، مراجع عقيلة الغناي: سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قار يونس، بنى غازي، ١٩٨٨، ص ٢٤٨.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٩٠-٥٩١، الزركشي: المصدر السابق، ص ١٤.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ٢١.

(٤) بلاد قسطنطينية: من مشاهير بلاد إفريقية من تيجس وميله وهى مدينة كبيرة أهلة بالسكان كثيرة الخصب ورخيصة السعر على نظر واسع وقرى عامرة وبها أسواق وتجار، وهى مدينة حصينة فى غاية المناعة. راجع الحميرى المصدر السابق، ص ٤٨٠-٤٨١.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٩٣ الزركشي: المصدر السابق، ص ٢١، قابس: مدينة من بلاد إفريقية بينها وبين القيروان أربع مراحل من بلاد الجريد مدينة كبيرة وبها فنادق وهامات وتكثر بها البساتين والمزارع: راجع الحميري: المصدر السابق، ص ٤٥٠.

(٦) ابن الشاع: المصدر السابق، ص ٥٣، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٥٥، الوزير السراج:

لملاحقة جيوش بنى غانية للحد من نشاطهم، واسترداد ما استولوا عليه من مدن وبلاد حتى وصل سجلماسه^(١) وذلك عام ٤٢٦هـ/١٢٢٦م^(٢) ولكن هذا التلائم بين الإخوة لم يستمر طويلا، حيث انقلب الاتحاد إلى انفصال وحرب بين عبو وأخيه أبى زكرياء يحيى، لأن عبو أراد التخلص من أخيه، فعزله من ولاية مدينة قايس وإعماله، فشرح له أخاه إبراهيم^(٣) واشتعلت إفريقية نارا، ولكن نار الصراع في المغرب الأقصى أشد^(٤) لأن عبو رفض مبايعة الخليفة المأمون في حين سارع إلى أبو زكرياء بالبيعة، وأعلن ولاءه له^(٥)، وعلى الفور أصدر المأمون أوامره بعزل عبو وتولية أخيه أبى زكرياء إمارة إفريقية^(٦) وبالتالي تغيرت الظروف والقوى المتناحرة، حيث تراجع أبو إبراهيم عن

الحلل السندسية، ج ٢، ص ١٤٢، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢١، ابن الضياف، إتحاف الزمان، ص ١٩٦.

(١) سجلماسه: تقع على نهر يقال له زيز ليس بها عين ولا بئر وبينه وبين البحر عدة مراحل وأهلها أخلاط والغالبون عليهم بربر وهى مدينة ساهليه وبها أرياض وهى حصنة الموضع. راجع ياقوت الحموى: المصدر السابق ص، الحميرى المصدر السابق ص ٣٠٥ - ٣٠٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٩٢.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٣، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٠٧، ابن خلدون، العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٩٣.

(٤) حيث اشتد الصراع على الحكم بين أفراد الأسرة الموحدية، حيث قتل العادل شنقا سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م وخلفه المعتصم وإلى أشبيلية بالأندلس حيث استطاع إحكام قبضته على البلاد وأمور الحكم ولكن لم تتوقف الثورات، راجع ابن خلدون، العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٩٣.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٩٣.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٩٣، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٢.

محاربة أبى زكرياء عندما علم بقرار العزل، فقام عبو بجمع جنوده من الموحدين متوجها إلى القيروان عازماً على التخلص من أخيه أبى زكرياء ولكن عندما علم شيوخ الموحدين الذين معه بنيته امتنعوا عن القتال حباً لأبى زكرياء^(١) فحاول إجبارهم فانقلبوا عليه^(٢).

وهكذا نجد أن أبى زكرياء استطاع من كسب السلطان إلى جانبه وبإيعه من أجل الفوز بحكم إفريقية وعلى الفور أرسل الشيوخ المعارضين بكتابات إلى زكرياء عن طريق وفد منهم، وشرحوا له موقفهم، فسارع بالتحرك هو وجنوده، وبادر بالوصول إلى تونس ودخلها واعتقل أخاه، ثم أرسله إلى المغرب بحرًا^(٣) ودخل أبو زكرياء تونس في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر رجب عام خمس وعشرين وستمائة هـ ١٢٢٧ م^(٤) ليضع النواة الأساسية

-
- (١) الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٣ ابن القنفذ، الفارسية، ص ١٠٧، ابن خلدون، العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٩٣، الوزير السراج: الحلل السندسية، ج ٢، ص ١٠٤٢.
- (٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٣، ابن خلدون، العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٩٣.
- (٣) ابن القنفذ: المصدر السابق، ص ١٠٧، الزركشي، المصدر السابق، ص ٢٣، طاهر راغب: المرجع السابق، ص ٨٩، ابن بسام، أخبار ملوك الحضرة المراكشية، ص ١٢٤.
- (٤) ابن القنفذ: الفارسية ص ١٠٧، الزركشي، المصدر السابق ص ٢٣، ابن خلدون، العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٩٣، ابن الوزير السراج: الحلل، ج ٢، ص ١٤٢، ابن الشماخ، المصدر السابق، ص ٥٣ - ص ٥٤، منى سيد عبد العزيز، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الحفصية (٦٢٦ - ٩٣٥ هـ / ١٢٢٨ - ١٥٣٥ م)، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ١٩٨٦، ص ٨.

- L.P. Harvey: op.cit., P. ١١٦.

- Jamil Abun Nasr, op.cit., P. ١١٩.

- Wilfrid Knapp: tunsice: Thams and Hudson London, P. ٥٧.

لقيام الدولة الحفصية وحوّل الحلم إلى حقيقة بعد عدة محاولات حفصية سابقة لم يكتب لها الظهور إلى الوجود، حيث قام بترتيب أحوال البلاد وعامل الرعية معاملة حسنة فكسب حب وولاء الناس^(١) وبذلك يكون قد أمّن نفسه داخليا إلا أنه لم يعلن انفصاله عن الدولة الموحدية، وجاءته الفرصة فارتضى نفسها عليه، حيث قام الخليفة المأمون بإرسال عمال لتونس بعد أن قتل أعدادا كبيرة من شيوخ الموحدين^(٢) فأنف أبو زكرياء من ذلك، واعتبر هذا تعديا عليه وتدخلًا مباشرًا في شئون إمارته، فعارضهم وردهم من حيث أتوا^(٣). وكانت هذه الفرصة غنيمَةً بأن يعلن أبو زكرياء انفصاله عن الخلافة الموحدية، حيث كثرة الفتن والحقودات من القبائل على الدولة^(٤)، وكثر أهل البغى

(١) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٠٨، نجد أنه عندما دخل تونس قضى على الفساد وعلى جميع أعمال أخيه عبو الفاسدة مثل الكاتب أبي عمر طرا من الأندلس، وجعل له كتابا واستندوا ببحوث من موسى التناي وهذا يدل على نيته مسبقا في إقامة دولة منفصلة عن الموحدين راجع ابن خلدون، العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٩٣ - ٥٩٤.

(٢) حيث نجد أن الخليفة المأمون قتل عددا كبيرا من شيوخ الدولة الموحدية وألغى الدعوة الموحدية رسميًا، وانتقد المهدي بن تومرت والعقيدة الموحدية علانية واستحدث نصوص جديدة في العقيدة الموحدية وأمر بإقامة الأذان للصلاة باللغة البربرية، وخالف النفوذ الموحدية وأزال من عليها اسم الموحدية، ومنع ذكر اسمه في صلاه الجمعة، وسب المهدي جهارا وبهذا ألغى المذهب الموحدي وبالتالي كانت المعارضة ضده أشد. راجع ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٠٨، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٣، ٢٤، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٥٩٤.

(٣) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٠٨، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٤، ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص ١٩٧.

(٤) أبو عبد الله محمد بن محمد بن غازی المكناس: الروض الهمتون في أخبار مكناسه

وقطاع الطرق والمفسدون في أقطار المغرب^(١) واضطربت الأحوال السياسية، وصاحب ذلك غلاء شديد، وعمّ الخراب البلاد^(٢) وانقطع الحرث بسبب الإهمال والفساد^(٣) فزادت الفوضى وظهرت الرشاوى، وظل بيت المال الموحدى خاوياً، وعجزت الدولة عن دفع مرتبات الجند فاختل الأمن بمدن المغرب^(٤) فهدمت وخربت مدينة كمتلة القديمة^(٥) وكذلك البساتين واستمر ذلك عشرين عاماً^(٦) وتهدم جامع حسان(*) في الرباط^(٧) وخربت مدينة مغلية

الزيتون، مخطوط مصور ميكرو فيلم بمعهد المخطوطات جامع الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط، تاريخ تيمور، رقم ١٦٨٦، ورقه ١٣، على بن أبى زرع: الذخيرة السنية في أخبار الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة و الوراقة الرباط ١٩٧٢، ص ٣٦ فهمى الجزائري: الجزائر أرض البطولة، القاهرة، (د - ت) ص ٢٩٠.

(١) المراكشي (أبو عبد الله محمد عبد الملك الأنصاري): الذيل والتكملة لكتابى الموصل والصلة، تحقيق محمد بن شريفه، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ١٩٨٤، السفر الثامن، ج ١، ص ١٧٦.

(٢) السلاوة: الاستقصا، ج ٢، ص ٢٠٨.

(٣) ابن أبى زرع: الذخيرة، ص ٣٦.

(٤) المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الثامن، ج ١، ص ١٧٩.

(٥) ابن غازي: الروض الهتون، مخطوط، ورقه ١٢.

(٦) على الجزنائي: جنى زهره الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط ١٩٦٧، ٤٥.

(*) جامع حسان: هو مسجد كبير وعظيم واسع الفناء جدا، بناه أبو يعقوب الموحدي له مآذنه في نهاية العلو على:

Marcais (Georges): l'architecture musulmanen d'occident , paris, ١٩٥٤, p. ٢٠٩

(٧) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، العصر الإسلامى، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦ ص ٨٤٧ - ٨٥٠.

نهائيا^(١) وهُزِمُوا في العقاب ٦١٠ هـ/ ١٢١٣ م^(٢).

وطول فترة الصراع والحرب مع المرينين^(٣) كل هذه الظروف شجعت على خلع بيعته للمأمون وإسقاطها دون أى خوف أو هيبة للدولة الموحدية الممزقة، وأَمَّن نفسه بمبايعة يحيى الناصر ابن أخ المأمون وذكر اسمه في الخطبة^(٤).

وعندما ظهر له ضعف الخليفة الناصر أسقط ذكره في الخطبة، وذكر اسم

(١) مغيلة: مدينة قديمة بناها الرومان على قمة الجبال المطلّة على فأس من جهة الشرق ويزرع بها شجرة الزيتون والقمح والبابوخ والكارويا: راجع مرمول كريخال: إفريقيا ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي، محمد زنيير، دار المعرفة للنشر، المغرب ٩٨٤، ج ٢، ص ١٨٤.

(٢) المراكشي: المعجب ص ٤٠١-٤٠٣، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٣٩، مراجع عقيلة، المرجع السابق ص ٢٦٥، حسن الخربوطي، الإسلام في حوض البحر المتوسط، دار العلم للملايين ط ١، بيروت ١٩٧٠، ص ١٦٥، محمد بن عبد السلام بن عبود: تاريخ المغرب، دار الطباعة المغربية، تطوان، ط ٢ ١٩٥٧، ج ١، ص ١٧٥، العروى المرجع السابق، ص ١٩٣.

(٣) حيث ظل الصراع المرير بينهم حوالى ثمانية وخمسون عاما، راجع: عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨، ج ١، ص، محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي في الأندلس في العصر المريني، دار القلم الكويت، ١٩٨٥، ص ١٠، عطا على شحاتة ربه: اليهود في بلاد المغرب في عهد المرينين والوطاسيين دار الحكمة، سوريا ط ١٩٩٩ ص ٣٧، زاهر رياض، شمال إفريقيا في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠، ص ١٩٤.

- Imperial claudio: relations diplo maticas de malloracyaragon con ELafrica seotmn trional durante- edadmedia.barcelona.١٩٠٤، p٥٨.

- John Iliffe, Africans: The History of A Continent, Univ. Press, Cambridge, ١٩٩٥. P. ٤٥.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية ص ١٠٨، الزركشي، المصدر السابق، ص ٢٤ ابن خلدون، العبر مع ٦ ج ١٢ ص ٥٩٤.

الخلفاء الراشدين والأمام المهدي، واتخذ لقب أمير وإعلان استقلاله عن السلطة المركزية القائمة بالمغرب الأقصى، وصك اسمه على العملة الرسمية للإمارة وذلك منذ سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م^(١) وبدأ توسعته الخارجية باستيلائه على قسطنطينية في ٢٦ شعبان ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م وطرده حاكمها من الموحدين، وكذلك بجاية عين عليها ولاءه من جانبه وتحت سيطرته^(٢) ويكون من قرابته^(٣) وكذلك فتح تلمسان^(٤) فتوافدت عليه وفود البلاد المختلفة

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٤، ابن القنفذ: الفارسية ص ٦٠٨ ونلاحظ هنا أن أبو زكرياء ظل يحیی شعائر وتعالی الإمام المهدي ويذكر اسمه في الخطبة من أجل استئالة القبائل الموحدية ليكون الوريث الشرعي للموحدين بإفريقية وهذا يعتبر فطنة منه من أجل الحفاظ على إمارة الناشئة وكذلك لقب بأمر فقط حرصا على عدم معاونة للسلطة وشيوخ الموحدین على الملأ وذلك لنيل رضاهم لخطوه أعظم.

(٢) ابن عذارى: البيان المغربي، قسم الموحدین، ص ٢٩٣، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ٢، ص ٥٩٥-٥٩٦ الزركشي، المصدر السابق، ص ٢٨، ٢٥ ابن القنفذ: الفارسية ص ١٠٨، عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢، دار الغرب الإسلامي، د.ت، ص ٤٣.

(٣) ابن خلدون: العبر مج ٦، ج ١٢، ص ٥٩٤-٥٩٥ طاهر راتب المرجع السابق ص ٩٥، كان وإلى قسنطينة السيد بن السيد ابن عبد الله الخرصافي بن يوسف العشري / وولى عليها ابن النعمان، وقبض على والي بجاية السيد أبي عمران ابن السيد ابن عبد الله الخرصافي وولى أخاه أبا عبد الله الليحاني عليها راجع ابن خلدون، العبر مج ٦، ج ١٢، ص ٥٥٩-٥٩٦.

(٤) عندما دخل أبو زكرياء تلمسان في شهر شوال سنة ٦٣٩هـ هرب صاحبها يغمراسن بن زيان العبد الوادي، ثم سرعان ما أرسل رغبته في الدعوة لتلمسان إلى أبي زكرياء وتوسطت أم يغمراسن فأحسن لها وأكرمها ثم رد يغمراسن إلى تلمسان راجع الزركشي: المصدر السابق ص ٢٩، ابن القنفذ، الفارسية ص ١٠٩، ابن الضياف، المصدر السابق ص ١٩٧، ابن الشماخ المصدر السابق ص ٥٩، الوزير السراج، الحلل، ص ١٤٤.

لمبايعته^(١) ورتب أحوال البلاد وأمن الرعية والبلاد فشعر الناس بالأمان، فكسب محبة الناس^(٢).

فاستقرت الأحوال، وازدهرت البلاد وعين الوزراء في عهده^(٣) فانتعشت الحالة الاقتصادية للبلاد حتى توفي أبو زكرياء عام ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م^(٤) وتولى الحكم بعده ابنه ووريثه ابن عبد الله محمد بن يحيى واتخذ لنفسه لقب المستنصر بالله ولقب بأمير المؤمنين^(٥) وفي عهده ظهر أول خلاف داخل للأسرة الحاكمة حيث ثار عليه ابن عمه محمد اللحياني^(٦) وكثر في عهده إيذاء وتعذيب الكتاب والعمال فقتل ابن الآبار^(٧) والنحوى ابن عصفور^(١) واللياني^(٢) وكثرت - أيضا - الثورات^(٣)

(١) حيث بايعته بالنسيه ٦٣٦ هـ / ١٢٣٧ م، إشبيلية وغرناطة والمرية عام ٦٤٣ هـ / ١٢٤٤ م، وسجلماسه عام ٦٤٠ هـ / ١٢٤١ م وغيرهما. راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٠ - ٦٠٥، ابن القنفذ، الفارسية ص ١٠٩، ابن أبي دينار، المؤنس، ص ١٥٥ - ١٥٦، الوزير السراج الحلل ص ١٤٤ - ١٤٥، ابن الضياف، المصدر السابق ص ١٩٧، ابن الشماخ، المصدر السابق ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) منى السيد عبد العزيز المرجع السابق، ص ٥٩ - ٦٠.

(٣) ابن القنفذ: الفارسية ص ١١٥ - ١١٦، الزركشي، المصدر السابق ص ٢٥ - ٢٦.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٤، الزركشي، المصدر السابق ص ٣٢، الوزير السراج: الحلل، ص ١٤٥.

- Jamil Abun Nasr, op.cit., P. ١١٩.

- L.P. Harvey: op.cit., P. ١٢٣.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٦، المطوي: السلطنة، ص ١٧٣.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٧ - ٦٢٨، المطوي، السلطنة، ص ١٧٧.

(٧) ابن الآبار هو أبو عبد الله بن عبد لله بن أبي بكر بن عبد الله عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاى الشهير بابن الآبار المتوفى ٦٥٨ هـ من بلنسية وسار مع وفد من بلنسية لمبايعة

ابن عصفور^(١) واللياني^(٢) وكثرت - أيضا - الثورات^(٣) ونزل الفرنجة تونس^(٤) وبلغت الدولة أوج ازدهارها العمراني والثقافي^(٥)، ودخل أهل مكة في الدعوة الحفصية^(٦)، كذلك بنو مرين وملوك السودان^(٧) وتمتعت البلاد

أبى زكرياء يحيى بن عبد الواحد ابن أبى حفص واستصرفه لرفع الآسيان بقصيدته المشهورة: أدرك بخيلك خيل الله أندلسا أن السبيل إلى منياتها درسا. راجع المقرئ (أحمد بن المقرئ التلمساني): نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨ ج ٣، ص ٣٤٨-٣٥٠، أزهار الرياض في أخبار عياض، ت مصطفى السقا وآخرون، طبعة دولة الإمارات، ط ٢، ١٩٨٤، ج ٣، ص ٢٠٥؛ ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٥٦٠٧، ابن أبى الضيف: إتحاف أهل الزمان، ص ٢٠٥.

(١) ابن عصفور: هو أبو الحسن على بن مؤمن بن محمد الخضرى عرف بابن عصفور من أهل أشيلية رجع بين الحفظ والإتقان وفصاحة اللسان وارتحل إلى العدو واستوطن بجاية، راجع الغبريني (أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني): عنوان الدراية فيما عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ت رابع بو نار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د-ت)، ص ٢٦٦-٢٦٨، السيوطي، بغية الوعاه ص ٣٥٧.

(٢) ابن خلدون: العبر مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٦ هو أبو العباس أحمد اللياني من المهديّة من ضيعه من ضياعها اسمها لبانه نال ديوان البحر، ألا أن بعض الناس، وتكلم عنه للسلطان بعض الحاقدين عليه، بأنه يخزن الأموال مزعما للقيام بثورة في المهديّة، راجع الزركشى: المصدر السابق ص ٣٦-٣٧، ابن أبى الضيف إتحاف أهل الزمان، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٧، الزركشى: المصدر السابق ص ٣٣.

(٤) ابن خلدون: مج ٦، ج ١٢، ص ٦٦٣-٦٧٤، الزركشى: المصدر السابق، ص ٣٥.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٨-٦٣١ ابن أبى الضيف: المصدر السابق ص ٢٠٤.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٤-٦٥١.

(٧) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥١-٦٥٢، ابن أبى الضيف، المصدر السابق ص ٢٠٤.

بحالة من الرخاء نظرا للاهتمام بالرقعة الزراعية، وزيادة الأرض المنزرعة^(١) وكانت أيام المستنصر أجمل وأفضل أيام الدولة الحفصية حيث ازدهرت فيها الحضارة، ولبس الناس أجمل وأنيق الملابس، وبنو أجمل المباني وكثر ترف سكانها^(٢) وكانت وفاة المستنصر يوم الأحد الرابع عشر من جمادى الآخر سنة ٦٧٥ هـ - نوفمبر ١٢٧٦ م^(٣) وانتهت معه كل إنجازاته.

تولى بعده ابنه الواثق، وكانت خلافته بداية الهون والضعف والانهيار للدولة الحفصية، حيث تولى بعده حكم تونس ثلاثة عشر سلطانا حفصيا يتميزون بالضعف والانحلال والتفكك، فنجد أن عهد الواثق الذي انغمس في حياة اللهو والفساد وبناء أفخم الأثاث والقصور، وسيطر الوزراء والحجاب على الدولة مما أدى إلى قيام انقلاب راح ضحيته السلطان الواثق ووزيره^(٤). وتولى أبو إسحاق إبراهيم حكم الدولة الحفصية وزاد الدولة ضعفا على ضعف حيث استولى الأعراب على القرى والمنازل ونهبوا الأموال والحريم، وثبت لهم السلطان البلاد الغربية المعروفة (بالظواهر) وقلت

(١) التجاني: الرحلة، ص ١١٩، ابن خلدون، العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٢.

- Jamil Abun Nasr, op.cit., P. ١٢٠-١٢١.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٥.

- Mas – latrie: De Mas Latrie: Les relations des chretiens avec las Arabes de L'Afrique Feeptetrionale au moyen age, Paris, ١٨٦٦. P. ١٤٤.

(٤) ابن خلدون: العبر مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٢، الزركشى: المصدر السابق ص ٤٢، ابن أبى

الضياف، المصدر السابق ص ٢٠٨، الوزير السراج، الحلل ص ١٥٤، ابن الشباع، المصدر

السابق ص ٧٥.

المجاني، وكثير الإخراج والإنفاق في عهده^(١) وهذا أكبر دليل على ضعف السلطان وقلة حيلته ضدهم، بل زاد من ضعفه حتى ادّعى ابن عماره القرابة من السلطان الواثق على أنه ابنه الفصل^(٢) وتولى حكم الدولة الحفصية في ٢٧ من شوال عام ٦٨١ هـ بعد فرار السلطان أبي إسحاق^(٣) وهزيمة ابنه الأمير أبي فارس صاحب بجاية في معركة مرماجنه عام ٦٨٢ هـ^(٤) ولكن الأمير أبا حفص بن أبي زكرياء لم يهدأ حتى قضى على الداعي، في ليلة الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م^(٥). فحاول أبو حفص أن يتعد عن سياسة الانتقام، ولم يوقع أى عقوبات على أحد بعد دخول تونس^(٦). ولم يستطع أن يحافظ على وحدته الأراضى الحفصية نتيجه للخلافات

(١) ابن القنفذ: الفارسية ص ١٣٩، الزركشى، المصدر السابق ص ٤٣.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٩، الزركشى: المصدر السابق ص ٤٦، ابن أبي الضياف: المصدر السابق ص ١٦٢.

- Jamil Abun Nasr, op.cit., P. ١٢٤.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٢، الزركشى: المصدر السابق، ابن الشّاع، المصدر السابق ص ٧٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٣، الزركشى: المصدر السابق ص ٤٨، يذكر الزركشى اسم المكان بفتح الایار قرب قلعه سنان، ويذكر ابن القنفذ في الفارسية ص ١٤٣، بأن المكان وطن قلعه سنان

- M – mas – latrie: traites. depaix et de commerce. p. ١٤٦.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٦، الزركشي: المصدر السابق ص ٤٧-٤٨، المطوى، السلطنة ص ٢٦٤

(٦) الزركشي: المصدر السابق ص ٥٠، ابن القنفذ، الفارسية ص ٤٦، ابن دينار: المؤنس ص ١٦٢.

والانقسامات^(١). ونزل المسيحيون جربة عام ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م لانشغاله بالثورات الداخلية^(٢) وحصلت مملكه راجون على امتيازات في عهده^(٣). وبلغ بالسلطة المركزية الحفصية سلاطين ووزراء الوهن والعجز عن التصدى بكل هذه الإخطار^(٤).

وجاء بعده أبو عصيدة^(٥) (٦٩٤-٧٠٩ هـ) - (١٢٩٥-١٣٠٩ م) ولصغر سنه لم يستطع أن يتحمل ملك الدولة الحفصية، مما جعل وزرائه (أبو زكرياء وابن إبراهيم والسلطان الحفصي) يفعلون ما يروق لهم، واشتد بينهم التنافس، واضطربت الأحوال في المغرب الإسلامي بين مريني وحفصي وزياي، فبثوا الرعب والخوف وقتل الأهالي والتنكيل بهم، وارتكبت القوى المتنافسة أعمال فظيعة هلعت منها النفوس^(٦) وجاء أبو

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦ ج ١٢، ص ٧٠٢، ٧٠١، ابن القنفذ: الفارسية ص ١٤٩.

(٢) التجاني: الرحلة، ص ١٢٦، ابن خلدون: العبر، مج ٦ ج ١٢، ص ٦٩٧-٦٩٨، ابن القنفذ، الفارسية ص ١٥٠.

(٣) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٩٤-٩٥، المطوي: السلطنة، ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٤) المطوي: السلطنة ص ٢٧٩.

(٥) أبو عصيدة: هو ابن المولى أبي زكريا يحيى بن المستنصر بالله بن المولى عبدالواحد بن أبي بك بن الشيخ أبي حفص عمر بويغ آخر ذى الحجة عام ٦٩٤ هـ وسمى أبي عصيدة؛ لأنه عندما قتل والده وأخواته هربت إحدى الجوارى به وقد اشتملت منه على حمل، وذهبت للشيخ المرجاني وعق عنه الشيخ وأطعم الفقراء عصيدة الخنطة وسماه محمد وكناه بأبي عصيدة راجع الزركشى المصدر السابق ص ٥٣، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٦٣، ابن الشماع: المصدر السابق ص ٨٣.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦ ج ١٢، ص ٧١٣، برنشفيك، المرجع السابق ج ١، ص ١١٢.

البقاء خالد^(١) وهاجم تونس سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٩ م، واستطاع توحيد الحفصيين لمدة عامين^(٢) ثم تولى حكم الدولة سلاطين الضعف والانيار من سنة (٧١١ - ٧١٨ م) - (١٣١١ - ١٣١٨ م) فتولى الحكم أبو يحيى بن أبي بكر^(٣) واستطاع من المحافظة عليه إلى سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م^(٤) وبعد وفاته في شهر رجب عام ٧٤٧ هـ / ١٣٤٥ م^(٥) تحرك السلطان أبو

(١) أبو البقاء خالد: هو بن المولى أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى أبي بكر بن أبي زكريا يحيى بن المولى إبراهيم بن أبي يحيى زكريا المستنصر جلس بعد موت أبيه وحجب له أحمد المالقي راجع الزركشي: المصدر السابق ص ١٠٤ ابن أبي دينار: المصدر السابق ص ١٧٢.

(٢) الزركشي: المصدر السابق ص ٥٨، المطوي: السلطة، ص ٣٠٧ ولكن أبو البقاء سرعان ما ظهر له منافسون على العرش الحفصي، مما ساهم إلى عزله ملكه. وذلك بسبب انحرافه وملذاته وشهوته مما اضعف قوه الدولة. راجع ابن خلدون: العبر مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٦.

(٣) أبو يحيى أبو بكر: -هو ابن المولى أبي يحيى أبي بكر ابن المولى أبي زكريا ابن المولى أبي إسحاق إبراهيم ابن المولى أبي زكريا ابن المولى أبي عبد الله محمد المستنصر أبي زكريا ابن عبد الواحد ابن أبي بكر ابن الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي. راجع الزركشي: المصدر السابق ص ٦٣، ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ٨٨-٨٩، ابن أبي دينار: المصدر السابق ص ١٦٥-١٦٦.

(٤) الزركشي: المصدر السابق ص ٨٠، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٠٨.

(٥) بعد وفاة السلطان أبي يحيى بن أبي بكر حدثت فتنة في تونس وصراع على العرش لان أبناءه لم ينفذوا وصيته في ولاية العهد لابنه أبي العباس أحمد الذي استنجد بالسلطان أبي الحسن المريني فوافق على التحرك إليه. راجع: ابن خلدون: العبر مج ٦ ج ١٢، ص، السلاوي: الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٤، الزركشي: المصدر السابق ص ٨٢، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٢٥-١٢٦، برنشفيك: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٩٦، عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المغرب، (عهد بنى مرين و الوطاسيين)، ١٩٨٨، ج ٧، ص ٢٨، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٦٨.

الحسن المريني^(١) نحو إفريقية في صفر عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م فأعلنت كثير من القبائل والمدن ولائها له^(٢) ودخل أبو الحسن المريني تونس التي فتحت أبوابها دون أية مقاومة من السلطان الحفصي ووزرائه عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م^(٣)

(١) أبو الحسن المريني: - هو أعظم ملوك المغرب وبنى مدين وأفخمهم وأكثرهم أثارا بالمغرب والأندلس، ويعرف عند العامة بالأكحل. راجع ابن مرزوق (محمد بن مرزوق التلمساني): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريه خيسوسي بيغيرا، تقديم محمود بوعيداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١ ص ١١٧ - ١١٨؛ على الجزنائي: جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس، المغرب ١٩٦٧، ص ٢٩ هامش، محمد بن القاسم الأنصاري السبتي: اختصار الاخبار عما كان بسبته من سنى الآثار، ت عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية، ١٩٦٩، ص ٣٠؛ البلوى (خالد بن عيسى البلوى): تاج المفرق في تحليه علماء المشرق، تحقيق وتقديم الحسن السائح، مطبعة فضاله المحمدية، المغرب، (د - ت)، ج ١، ص ١٤٩؛ عبد الله الأنصاري (أبى عبد الله محمد الانصاري): فهرست الرصاع، ت محمد العنباى، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٨٧، ص ٢٨ هامش.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٧، ص، السلاوى: الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٥، الزركشى: المصدر السابق ص ٨٢، محمود مقديش: نزهة الانظار في عجائب التواريخ والاخبار، ت على الزارى، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامى، ط ١، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، ج ١، ص ٥٢٧، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، عرض لاحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام الى العصر الحاضر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٩٣ ج ٢، ص ٣٩، عاشور بوشامة: المرجع السابق ص ١٩٤، عبد الفتاح مقلد الغنيمى: موسوعة المغرب، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٤، م ٣، ج ٥، ص ٢٥٧، عبد العزيز فيلالى: محمد الهادى العروق: مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخى ولييه الطيعة، قسنطينة، تونس، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م - ط ١ ص ٦٩ - ٧٠.

- Hirshberg: A history of the jews in North Africa, Brill. ١٩٧٤, P. ٣٦٦.

(٣) دخل السلطان أبو الحسن المريني تونس وكان معه الأمير الحفصي أبو عبد الله اخو السلطان

وظلوا يحكمون تونس حتى استطاع أبو العباس الفضل الحفصي من توحيد صفوف الحفصيين والعرب الذين نقضوا عهدهم للسلطان أبي الحسن المريني^(١) مما جعله يعود للمغرب في أوائل ٧٥٠ هـ تاركاً ابنه أبا عنان والياً على تونس، ولكن أبا العباس انتزع الحكم من بنى مرين وأنهى الوجود المريني في إفريقية الذي استمر عامين وستة أشهر وخمسة عشر يوماً^(٢) وكرر المرينيون الكرّ مرة أخرى في عهد أبي عنان المريني الذي استولى على بجاية ٧٥٤ هـ / ١٣٥٣ م^(٣) وفتحوا قسطنطينية عام ٧٥٨ هـ / ١٣٥٧ م^(٤) ودخلوا تونس في

أبي يحيى الحفصي.

- راجع ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٣، ص، السلاوي: المصدر السابق ج ٣، ص ١٥٦، الأنصاري: فهرست الرصاع، هامش (٥) ص ٢٨، عبد الهادي النازي: التاريخ الدبلوماسي م ٧، ص ٢٨، الميلي: التاريخ الجزائري ص ٧٤٩، دائرة المعارف الإسلامية ص ٢٧، ص ٨٤٤٧، برنشفيك: ج ٢، ص ١٩٧، مار مول كربخال: أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجى، ومحمد زنبير وآخرون، دار المعرفة، المغرب ١٩٨٨ - ١٩٨٩ ج ٣، ص ٤٧٥، الدولاتي، مدينة تونس ص ٦٢.

(١) الزرهوني: ملعبه الكفيف الزرهوني، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، المطبعة الملكية الرباط، ١٩٨٧ ص ١٣٤، السلاوي: الاستقصا، ج ٣، ص ١٦٣، شارل اندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية. (تونس - الجزائر - المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٣٠) ترجمه محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر ١٩٨٧ ج ٢، ص ١٨٤.

(٢) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٦٩، الزركشي: المصدر السابق، ص ١٦٧، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٢٧، عاشور أبو شامة، المرجع السابق، ص ١٩٩.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١١٣، ص ٦١٨، السلاوي: الاستقصا، ج ٣، ص ١٨٧، ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج ٢، ص ٤٥، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧١.

(٤) مقديش: المصدر السابق، ص ٥٣١، الغنيمي، المرجع السابق م ٣، ج ٥، ص ٣١٤.

رمضان عام ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م وأقاموا الدعوة المرينية^(١)، ولكن لم تستمر هذه الحملة الطويلة حتى ثار أهل تونس على بقية المرينيين بعد رجوع أبي عنان إلى المغرب حيث انصرف عنه جنوده^(٢) وتم استرداد مدينة بجاية عام ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م^(٣) وكذلك مدينة قسطنطينية عام ٧٦١هـ / ١٣٧٩م^(٤) وهكذا تم توحيد البلاد والسلطة الحفصية.

وصاحب هذه الفترة من التاريخ الحفصي، فتره عصية سادها الإضراب، وعدم الاستقرار وذلك بسبب كثرة الحروب والغزوات فأثرت بالطبع على حياة وأمن السكان وانعكس ذلك على الأسعار^(٥) ولكن مع بداية عام ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م بداية الاستقرار والأمن والوحدة بين أراضي الحفصيين في إفريقية، حيث تولى الحكم السلطان أبو العباس أحمد القسطنطيني (٧٧٢-٧٩٦هـ) وأعاد

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٧، ص ٦١٩، السلاوي: الاستقصا ج ٣ ص ٢٠٢، ابن أبي دينار، المصدر السابق ص ١٧، مقديش: المصدر السابق ج ١، ص ٥٨٢، التازي: المرجع السابق، ج ٧، ص ٢٣٤، إحسان حقى، المغرب العربى، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بيروت، (د - ت) ص ٩٤ - ٩٥، جوليان: المرجع السابق، ج ٢ ص ٢٣٤، المطوى: السلطنة ص ٤٢٩.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص ٩٨، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٨٢، ابن دينار، المؤنس ص ١٧١.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٤٦، الزركشى: المصدر السابق ص ٩٩.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٨٣.

(٥) ابن دينار: المصدر السابق، ص، الزركشى: المصدر السابق ص ٩٥، حيث ارتفع سعر الطعام بتونس إلى أن بلغ فقير القمح احد عشر دينارا ذهبيا والشيعى نصفه راجع الزركشى: نفس المصدر والصفحة.

للدولة هيبتها واستقرارها ووحدتها^(١) وسيطر على الأعراب وأعادهم إلى طاعته^(٢) وسيطر على مدينة قفصه^(٣) وقضى على الفساد وأمن الطرق^(٤) وقضى على الفتن الداخلية وعمل على إرساء تقاليد الحكم^(٥) ثم تولى بعده ابنه أبو فارس الذي حكم نحو أربعين عاماً، (٧٩٦-٨٣٧ هـ، ١٣٩٤-١٤٣٤ م) كانت بمثابة العصر الذهبي للدولة الحفصية^(٦).

ثم خلفه في الحكم حفيده أبو عمرو عثمان^(٧) سبقه أبو عبد الله محمد

(١) الزركشي: المصدر السابق ص ١٠٩.

(٢) الزركشي: المصدر السابق ص ١٠٧-١٠٨ ابن دينار، المصدر السابق.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٧٧-٨٨، الزركشي: المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٤) ابن القنفذ: المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٥) عبد الناصر جبار: بنو حفص والقوى الصليبية في غرب البحر المتوسط في القرنين الثامن والتاسع الهجري ١٥٤٤، النبلاء، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة ١٩٩٠ ص ٣٥-٣٦.

(٦) أبو فارس عبد العزيز ابن المولى السلطان أبي العباس أحمد المولى الأمير أبي عبد الله محمد بن المولى السلطان أبي يحيى أبي بكر ابن الأمير المولى أبي يحيى زكرياء أمه اسمها جوهره بن الحراث المحاميد عبر طرابلس فستولى على تلماس بن سلطان بنى عبد الواد واستردوا حكم بسابره، ومدينة الجزائر، وتطلع على فاس عاصمة الدولة المرينية الذين أظهروا الولاء للحفصيين وبلغت الدولة الحفصية في اتساعها جميع بلاد المغرب والأندلس. راجع الزركشي: المصدر السابق، ص ١٤٤، ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص ٢٣٠، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٨٩، ابن دينار، المصدر السابق، ص ١٧٤-١٨٦.

(٧) أبو عمرو عثمان: هو ابن المولى عبد الله محمد بن المولى أبي فارس عبد العزيز، اليوم الذى توفى أخوه فيه ولم يتخلف عنه أحد يوم الجمعة الثانى عشر من صفر عام ٨٣٩ هـ واجهته تحديات كثيرة استطاع التغلب عليها حتى وفاته، الزركشي، المصدر السابق ص ١٣٤، ابن الشماخ: المصدر السابق ص ١٢١-١٢٢.

المتنصر الذى تولى الحكم لفترة قصيرة تزيد قليلا على السنة انتهت بوفاته^(١) فحكم حوالى أربعاً وخمسين سنة (٨٣٨ - ٨٩٣ هـ) - (١٤٣٥ - ١٤٩١ م) كأطول سلطان فى تاريخ الدولة الحفصية وصلت فيه الدولة إلى قمة رخائها وازدهارها، حيث سار على درب أبيه فى الداخل والخارج، وقضى على جميع حركات المعارضة داخل الدولة حتى توفى سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٩١ م^(٢).

وخلاصة القول فنجد أن السلطان أبا العباس أحمد وأحفاده استطاعوا أن يعيدوا وحدة الدولة الحفصية، وإعادة الأمن للبلاد، حيث عاش الناس حياة مليئة بالترف، وظهرت الدولة كأكبر قوه فى المغرب ضمت مع الدولة الزيانية فى تلمسان والمرينية فى المغرب الأقصى، وازدهرت حركة البناء والتعمير ونشطت الحركة الثقافية وذلك بفضل السلاطين الأقوياء معيدا أمجاد الدولة الحفصية فى بدايتها وبعده عصر السلطان أبى العباس أحمد وأحفاده حتى بدأت فتره اتسمت بالوهن الشديد والتخلخل داخل الاسره الحفصية، وبدأت هذه الفترة منذ عام ٨٩٣ هـ / ١٤٩١ م / ٩٣٥ هـ / ١٥٣١ م، وحيث طمع المسيحيون فى أملاك الدولة الحفصية^(٣) وباستيلاء الأتراك العثمانيين على

(١) ابن الشعاع: المصدر السابق، ص ١١٧، ابن دينار، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٢) وفيه يقول الشهاب بن الخلف الشاعر المعروف فى عصره فكان يمدحه بسبب أخلاقه وأعماله مثل مدح المتنبي لسيف الدولة

وغابت علامات الدجى السود عندما ترأت لها رايات شمس الضحى الشحواد
وسلت بريق البرق فى الشرق صارما تفدله اتراس سحب الحيا الخط

- راجع حسن حسنى عبدالوهاب: مجمل تاريخ الأدب التونسى من فجر الفتح العربى إلى العصر الحاضر، مكتبة المنار، تونس ص ٢٢٤.

(٣) المطوى: السلطنة، ص ٦٦٩ - ٦٧٧.

تونس بعد وفاة السلطان أبي عبد الله محمد في ٩٣٢ هـ الذي حاول أن ينهض بالدولة الحفصية ويستعيد أمجاد أجداده ولكن ذهبت في مهب الرياح، وأصبح للحفصيين اسماً فقط حتى استولى العثمانيون على تونس نهائياً عام ٩٨١ هـ / ١٥٧٤ م، وطوت آخر صفحات الدولة الحفصية من الوجود.

وخلاصة القول: يمكن تقسيم الدولة الحفصية إلى أربعة أطوار، فالطور الأول يبدأ من ٦٢٦ هـ: ٦٧٥ هـ، ١٢٢٨ م: ١٢٧٧ م، حيث رحلة التأسيس ومركزية السلطة وقوه ونفوذ الدولة، السيطرة على الأعراب، وفشل الحملات الصليبية على تونس، ويبدأ الطور الثاني للدولة (٦٧٥ هـ ٧٧٢ هـ / ١٢٧٧ م: ١٣٧٠ م) وهي فترة اضطرابات وفوضى وتمرد وعدم استقرار وانقسامات داخل البيت الحفصي، ثم تلتها مرحله ازدهار واستقرار تبدأ من (٧٧٢ هـ: ٨٩٢ هـ، ١٤٨٦: ١٣٧٠ م)، حيث ظهرت القوه على السلاطين في السيطرة على أمور الدولة وتوفير الأمن الذي انعكس على جميع أنشطه الدولة، بداية من وصول السلطان أبي العباس احمد إلى الحكم حتى وفاة حفيده أبي عمرو عثمان، وأخيراً كانت مرحلة التدهور والانحطاط والزوال (٨٩٢ هـ: ٩٨٢ هـ) - (١٤٨٦ م: ١٥٧٤ م)، حيث التنافس على السلطة والتدخل الأجنبي حتى استيلاء العثمانيين على تونس وغروب نجم الدولة الحفصية.

- J.D. Fage: History of Africa, London and New York, ١٩٩٥, P. ١٨٥, John Iliffe: op.cit., P. ٤٥.

- Wilfrid Knapp: op.cit., P. ٤٨.